72336—73864 REGD.NO.L W/NP 69

MAJALLAH **ALBAAS-EL-ISLAMI** (MONTHLY)

OCTOBER — 1995

صدر حديثاً :

واقع العالم الإسلامي

وما هو الطريق السديد لمواجهته وإصلاحه

تحدث فى هذا الكتيب سماحة العلامة السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى عن واقع العالم الاسلامى المعاش ، و عن مسئولية كل مسلم واع و دوره فى إنقاذ العالم الاسلامى من هذا الواقع الخطير .

قام بنشره و توزيعه

دار عرفات للترجمة ، و النشر و التوزيع

دارة الشيخ علم الله ، رائى بريلى (الهند)

يطلب الكتاب من :

المجمع الاسلامى العلمى

ندوة العلماء - لكناؤ (الهند)

قام السيد شاهد حسين بالطبع فى مطبعة بارك أوفست لكناؤ من مؤسسة الصحافة والنشر ، ندوة العلماء - رئيس التحرير : سعيد الأعظمى

شعارنا التوحيد
إلى الإسلام من جديد

مؤسسة الصحافة والنشر
ندوة العلماء لكهنؤ الهند

العـــــدد التـاسع — المجلد الاربعون

جمادى الثـانية ١٤١٦هـ — نوفمبر ١٩٩٥م

البعث الاسلامى

مجلة إسلامية شهرية

تصدرها

مؤسسة الصحافة و النشر

ندوة العلماء - ص.ب ٩٣ - لكناؤ (الهند)

بسم الله الرحمن الرحيم

أنشـــأهـــا :

فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني رحمه الله

في ١٩٥٥م ١٢٧٥هـ

البعث الإسلامي

العدد التاسع

المجلد الأربعون

رئاسة التحرير :

سعيد الأعظمي الندوي

واضح رشيد الندوي

جمادى الثانية ١٤١٦هـ

نوفمبر ١٩٩٥م

البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر ص. ب ٩٢ لكناؤ - الهند

ALBAAS-EL-ISLAMI C/o. Nadwatul Ulama
P. O. Box. 93. Lucknow (INDIA)

حضرات أخواننا القراء !

أحييكم بتحية الاسلام و أحمد الله على هذا التوفيق الغالى الذى أكرمنا به من الاستمرار فى خدمة العقيدة والفكر وفى مجال البعث الاسلامى ، بطريق مجلة « البعث الاسلامى » التى تجتاز عامها **الأربعين** ، راجياً من الله سبحانه أن يتكرم بالتأييد الدائم لنا بروح من الاستقامة والصمود ، والثبات على هذه الجبهة الدقيقة فى ظروف صعبة و أوضاع متأزمة تجتازها الأمة و يتعرض لها المسلمون اليوم فى كل مكان نحو دينهم وشريعتهم ورسالتهم العالمية

و بمجرد توفيق الله و مشيئته استطعنا أن ندخل بعض التحسينات المطبعية فى المجلة كما يراها و يسر بها القارىء الكريم ، و لا يخفى عليكم أن تكلفة المجلة قد تضاعفت بغلاء أسعار الورق و الطباعة و أجور العمال ، فنرجو أن يتكرم كل أخ كريم ببذل مجهوداته فى سبيل دعم المجلة و توسعة نطاق المشتركين الجدد فيها ، و يشاطرنا فى أداء بعض الواجب الذى نتحمله الآن .

و التحديات تتجدد كل يوم ، وهى تنذر بشر مستطير ، فنرجو أن تتعاونوا معنا على كل جبهة ، و لكم شكرنا و تقديرنا .

و الله من وراء القصد وهو يهدى السبيل .

الاشتراكات السنوية :

★ فى الهند : مأة روبية

ثمن النسخة عشر رويات :

★ فى العالم العربى و فى جميع دول العالم .

٢٠/ دولاراً بالبريد السطحى .

و ٣٦/ دولاراً بالبريد الجوى .

عنوان المراسلات :

ترسل الاشتراكات بالشيك :

باسم (ALBAAS-EL-ISLAMI)

بالعنوان التالى :

مكتب البعث الاسلامى ،

(مؤسسة الصحافة والنشر)

ندوة العلماء ص . ب ٩٣

لكناؤ (الهنـــد)

ALBAAS - EL - ISLAMI
C/o NADWAT UL ULAMA
P. O. Box No. 93,
Lucknow. (INDIA)

★ المجلة غير ملتزمة بكل فكر ينشر فيها .

في هذا العدد

الافتتاحية :

المؤتمر العالمي للمرأة ودور المرأة في الإسلام ! — سعيد الأعظمي — ٣

التوجيه الإسلامي :

محمد -ﷺ- وتعدد الزوجات — سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي — ١١

القلق مرض الحضارة الغربية — الدكتور علي القاضي — ١٦

الدعوة الإسلامية :

المعلم و العلم الحديث — الدكتور محمد مسلم خان — ٢٧

المرأة وحقوقها المادية في الإسلام — فضيلة الشيخ عبد الكريم باريك — ٣٥

دراسات في السنة :

الأحاديث الضعيفة والموضوعة في التفسير .. — الدكتور عمر يوسف حمزة — ٤٣

الحديث الشريف وأثره على اللغة العربية — أبو الخير محمد ولي الله — ٥٢

دراسات أدبية :

مجتمع الجاحظ كما يصور أدبه — الأستاذ عبد الخالق الأعظمي الندوي — ٦٦

دراسة لغوية :

صيغة زمن الفعل في العربية والإنجليزية — الدكتور بشير أحمد — ٧٣

تحقيق ابن الجوزي في موضوع أبي شحمة ! — الدكتور هارون الرشيد الصديقي — ٧٨

صور و أوضاع :

فراغ في الإعلام والاستعلام — واضح رشيد الندوي — ٩٠

أخبار علمية وثقافية :

وفد ندوة العلماء يزور الجامعة الإسلامية-بأجراو الأستاذ محمد شاهجهان الندوي — ٩٦

الرابطة الإسلامية تدين قرار المحكمة العليا الإسرائيلية — رابطة العالم الإسلامي — ٩٨

كتب حديثة :

الإمام عبد الحي اللكنوي علامة الهند وإمام المحدثين والفقهاء — قلم التحرير — ٩٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية :

المؤتمر العالمي للمرأة ودور المرأة في الإسلام !

أضحت قضية المرأة اليوم ذات أهمية فائقة شغلت المحافل الدولية وعقول المفكرين الغربيين ، وتبنتها الأمم المتحدة فأزمعت عقد مؤتمر عالمي للمرأة يحقق لها حقوقها الإنسانية والأساسية من المساواة والتنمية والسلم ، ويتولى تحسين وضعية المرأة وإنقاذها من متاعب الحياة ومعاناة المجتمع ، والتزامات الدين والعقيدة التي تُفرض عليها ، والتي تسدّ في وجهها طريق الحرية والإسهام في بناء العالم المتطور والمجتمع الحضاري الجديد .

من هذا المنطلق عُقد المؤتمر العالمي للمرأة في بكين بالصين خلال شهر سبتمبر الماضي ، وبإشراف الأمم المتحدة ، حضرت فيه وفود النساء من جميع أنحاء العالم ، وتابعت مداولات المؤتمر في ضوء الوثيقة التي أعدتها اللجنة المختصة ، والتي استهدف المساواة الكاملة بين الرجل والمرأة ، بضمها إلى التيار الرئيسي لعملية التنمية والقضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة ، لكي تتمكن من النهوض بأعباء المسئوليات في مجال التطور الاجتماعي والحضاري وبالمشاركة مع الرجل على قدم المساواة ومن غير تفريق بينهما في الاضطلاع بمسئولية القيادة لإقامة السلام في العالم .

وافق المؤتمر على ما جاء في الوثيقة واتفق المؤتمرون على القضاء على

جميع الفوارق الطبعية والخلقية التي توجد بين الرجل والمرأة ، وذلك باسم المساواة الكاملة بينهما ، والحدب على الحقوق الإنسانية التي تتمتع بها المرأة في مجالات الحياة ، فلها الحق في أن تمارس نشاطها الحيوي بأي طريق شاءت ، دون أن يوضع عليها حَدّ ، أو يفرض عليها شئ من النواميس الدينية والأعراف القبلية والأسرية ، لكيلا تبقى المرأة خير متاع الدنيا ، وتخرج عن نطاق الصلاح والعفة ، لقد قال الرسول -ﷺ- : الدنيا متاع ، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة ، وقد خيّر رسول الإسلام أزواجه الطاهرات بين اتخاذ الدنيا وزينتها وبين إيثار الله ورسوله والدار الآخرة ، وبشرهن بالأجر العظيم ، وحذرهن مما إذا أتين بفاحشة فأدركن عذابها ضعفين أوقنتن لله والرسول وعملن صالح الأعمال فأوتين أجورهن مرتين ، ونلن من الله رزقًا كريمًا ، اقرأوا ما جاء في كتاب الله تعالى من البيان الواضح حول هذا التخيير وإعطاء الحرية في شئون الحياة حينما أمر الله سبحانه رسوله -ﷺ- بذلك ، فقال : ﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحًا جميلاً • وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعدّ للمحسنات منكن أجرًا عظيمًا ﴾ .

ذاك أن أزواج النبي -ﷺ- يجب أن يمثلن أرفع نموذج للمرأة المثالية التي عليها مسئولية كبيرة نحو بناء البيت والأسرة ، وبالتالي المجتمع الأفضل الذي يعيش أفراده في سعادة وهناء وأمن ، وتنشأ فيه الأجيال البشرية على خلال رفيعة من الطهر والعفاف وتمثيل النزاهة في كل شأن من شئون الحياة ، فردية كانت أم جماعية ، كما أن نبي الإسلام -ﷺ- كان مكلفًا بأداء الأمانة وتربية الأمة ، وتوجيه الإنسان إلى أفضل حياة ، وأكرم عيش ، يحقق متطلبات الطبيعة في عدل واعتدال ، ويُوزع

مسئوليات الرجل والمرأة في أجمل شكل وفي ضوء الفطرة البشرية ، فلا يخرج الرجل عن حدوده وسلطته ، ولا تتجاوز المرأة عن مسار فطرتها وعن طبيعة أعمالها وحدود نشاطها ، ولا تجعل خارج البيوت مركزًا لإبراز مواهبها وطاقتها ، ومكامن حسنها وزينتها ، حتى تسبب فتنة عمياء ، وتفسد النظام الخلقي والتربوي ، وتؤدي إلى انهيار العلاقات العائلية وتدهور البيئة ودخول أشكال من التجرؤ على ممارسة الجرائم الخلقية وتشجيع الفاحشة وإشباع الغرائز بطرق غير شرعية .

وأي محاولة إنسانية تظهر من أي مستوى وبإشراف أي سلطة لمنح المرأة الحرية الكاملة والمساواة مع الرجل في حل مشكلة التنمية والسلم ، لن تنجح في أي مجال حضاري أو اجتماعي ، بل الواقع أنها تدفع القضية من السّيئ إلى أسوأ وتعقّد الموضوع وتقيم المجتمع على شفا الهلاك والدمار ، ولنا في المجتمعات السابقة على الإسلام حيث أخرجت المرأة إلى عرش الحكم أو إلى الشوارع ، شواهد حية تؤكد أنها جرّت إلى البلاد شقاءً لا مثيل له ، وأقبل الناس فيها على ممارسة الرذائل وإشاعة الفواحش والمنكرات ، مما زعزع أسس النظام العائلي وغاب عنه طعم الحب والحنان والاستقرار ، الذي هو ضرورة إنسانية لا يستغنى عنها الناس بأي حال ، ففي الحضارة الفارسية كانت المرأة سببًا كبيرًا للشقاء وذهاب الملك وزوال الدولة ، لم تكن فيها اعتبارات من الشرف والكرامة ، والحياء والعفة ، كانت المرأة ملكة في ناحية تدير دفة البلاد وتملى إرادتها على الشعب ، وفي ناحية أخرى كانت تستعمل كأداة تسلية ولهو ومتعة رخيصة في كل مكان ، جفت ينابيع الحياء في القلوب ، وماتت

الغيرة في النفوس ، فكان الوالد ينكح ابنته والأخ يتزوج أخته ، والولد يزني أمه ، تباع العفة والطهر في سوق المناداة بثمن بخس زهيد ، وكذلك في الحضارة الرومية أهينت المرأة وسيقت إلى مراكز الدعارة والفجور علنًا وجهارًا ، وطالما زارت الكنائس والمعابد لكي توفر للقسيسين والرهبان فرصًا للفاحشة وممارسة الرذائل .

أما في المجتمع الجاهلي العربي فرغم أن الغيرة على النساء كانت بالغة إلى أقصى الدرجات في القبائل والأسر ، ولكن واقع المرأة كان في غاية من المرارة والسوء ، فوأد البنات كان يسود المجتمع الجاهلي بكامله ، فرارًا عن عار المصاهرة ، كما أن البغاء كان مهنة تمارس من غير رادع أو وازع ، وبكل وقاحة ، كل ذلك كان نتيجة لتحرر المرأة وانطلاقها عن قيود الأخلاق وقوانين الطبيعة ، واعتبار المرأة عضوًا مساويًا للرجل في شئون الحياة ، وفقدان التصور الواضح والرؤية السليمة نحو الهدف الذي يتوخاه خالق الكون والإنسان من خلق الرجل والمرأة : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى • وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا • إن أكرمكم عند الله أتقاكم • إن الله عليم خبير ﴾ إذن لا مجال في الشعوب والقبائل لإهمال الهدف ، وترك الرجل والمرأة يسيران في أي مسار ، ويتجهان نحو أي جهة ، ولا يتقيدان بالتعاليم التي أنزلها الله سبحانه وتعالى خالق البشر ، لبناء الحياة والمجتمع .

انطلقت المرأة المسلمة في ضوء التوجيهات السماوية نحو مستقبل باسم تزدهر فيه الفضائل وتتوافر فيه أسباب السعادة للأسرة الإنسانية الواسعة ، إنها مثلت أروع دور في بناء الإنسان الكامل الذي ملأ العالم

نورًا وسعادةً ، وأمنًا وسلامًا ، وحول العالم البشري إلى معمورة إنسانية يرتبط فيها البعض بالبعض على أساس من العقيدة الصافية ، والحب والإخلاص والنصح ، ويتصل بالله تبارك وتعالى كعبد خاشع يلتجئ إليه في شئون الحياة ويطلب منه العون على أداء المسئوليات ، ويتوب إليه فيما إذا صدر منه إثم أو تقصير في القيام بالواجب الذي يعود إليه من الله ومن الناس ، إنها المرأة المسلمة التي أنجبت أبطال التاريخ وأعلام الإنسانية ، وهي التي قامت بالتربية الجادة الحكيمة ، فخرّجت أجيالاً ممن كانوا مفاخر الدنيا ، ومنائر النور ، حالفهم التوفيق في بناء الإنسان المطلوب ، وإخراج الناس من عهد الشقاء إلى السعادة ، والتاريخ يزخر بأمثالهم ، ويمدّ نفَسَه في بيان مآثرهم .

ثم جاءت الحضارة الغربية واستهدفت عفة المرأة وجمالها الطاهر ، وحببت إليها الزخارف الجوفاء من المدنية ، وسحرتها بهتاف المساواة مع الرجل والعمل معه متكاتفة ، من غير إقرار بما لهما من دور خاص في تنظيم الأسرة وتربية الطفل ، وتحسين الجوّ العائلي ، ولما انخدعت المرأة بالحضارة الحديثة خرجت من نطاق وظيفتها الطبيعية إلى أعمال لا تليق بمنصبها النسوي ، فلقيت من العناء والذل ما هو المشاهد المعلوم في المجتمعات الحضارية اليوم ، وعادت جنسًا رخيصًا يباع ويشترى بثمن بخس ، حتى وإن وُليت حكمًا أو تولت قيادة بلد وأمة ، ولكنها فقدت مكانتها من احترام القلوب ، وطالما اشتهرت بقصة غرام أو ارتكاب فاحشة مع من أرادت ، أما بائعات الهوى والبغايا والممثلات في الأفلام وعارضات الأزياء ، وبغايا الهواتف (CALL GIRLS) بالإعلان والدعاية

وبغاية من الوقاحة . فكل ذلك من حصاد الحضارة الغربية ، ليس غير .

أهينت المرأة في عهود التاريخ المختلفة واعتبرت كسقط المتاع ، وديست كرامتها بالأقدام ، وجعلت بضاعة تجارية تتاجر بها طبقات من الناس لأغراض تافهة خبيثة تهدم أنوثتها وعفافها ، وتلقى بها إلى مهوى سحيق من الهلاك والدمار ، أتيح للمرأة المسكينة أن تعيش تحت وطأة الفقر والمرض والأمية في عهود الظلام والجاهلية ، وتئن من شدة الآلام في الحضارات المادية التي تقف بها في المعارض والأسواق تحت ظلال من العلم والغنى والثقافة ، وتجعلها ذريعة لكسب الأموال والأرباح وترويج بضاعة الفنون السياسية والأهواء النفسية ، وتأكيد الثورة على جميع القيم والمثل الخلقية .

ويأتي الإسلام بمنهجه الوسط فينقذها من عذاب الجهل والنحس والهمجية ، ومن شقاء المدنية و « العصرنة » إلى الطريق الوسط ، ويظلها تحت سقف الرحمة والعدل والإيمان ، ويكرمها بحقوق تخصها هي ، وأخرى تشارك فيها الرجال ، ويقيم ميزان الاعتدال بين الرجل والمرأة ، ويعتبر كل واحد منهما متممًا للآخر فيرتبطان ارتباطًا وثيقًا بطريق الزواج الشرعي ، الذي يوفر للزوجين كل نعمة من المودة والنصح والتراحم ، والسكينة ، وهي تساعدهما في أداء ذلك الدور العظيم الذي خص به الله تعالى الإنسان : ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجًا لتسكنوا إليها • وجعل بينكم مودة ورحمة • إن في ذلك لآيات لقومٍ يتفكرون ﴾ .

يقولون إن مؤتمر المرأة العالمي يرفع مستوى المرأة ويُقر لها بحقوق

الحرية في كل شأن حتى في ممارسة الجنس ، واختيار الطرق المناسبة لها وفق ميولها واتجاهاتها ، فلا عليها أن تعيش بدون الزواج ، مع من شاءت من الرجال ، وذلك من غير شك يفتح الأبواب نحو شرعية دولية للإباحية والشذوذ والفاحشة والاجهاض ، وجميع الأدواء الخلقية ، وينشر في المجتمع ميكروبات الأمراض الجنسية على أوسع نطاق ، ويملأ العالم عما قريب بأمراض عضال من السرطان والأيدس والسل والشلل ، وسوف يفقد المجتمع الإنساني حق العيش ، وينتهي دور الإنسان في بناء العالم ، ويأذن الله تعالى بالنهاية الأخيرة ويطوى السماء كطيّ السجل للكتب .

إن قضية المرأة ليست كسائر القضايا والمشكلات السياسية والاجتماعية ، ولكنها قضية في غاية الخطورة والدقة ، إن أدنى خطأ فيها يعقّد الحياة ويسلب الإنسان حق العيش على هذا الكوكب الأرضي في أمن ودعة ، وقد يؤدى إلى دمار عام وتردٍّ شامل وهبوط إلى أسفل درك ، مما يشتت شمل الأسرة ويفقد الإنسان هويته ، ويكون مثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث .

وإلى المعنيين بهذا المؤتمر الذين يتخذونه ذريعة للانسلاخ من آيات الله في الكون والإنسان والحياة واتباع الهوى ، قول الله تبارك وتعالى ، وهو تفسير للعقول الساقطة والأفكار المريضة ، يقول :

﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين • ولو شئنا لرفعناه بها • ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه • فمثله كمثل الكلب • إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث • ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا • فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ﴾ .

وصدق الله تعالى ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ...

سعيد الأعظمي

التوجيه الإسلامي

المصاهرة أثرها البعيد في تاريخ الدعوة الإسلامية ، والمجتمع الإسلامي المثالي ، وحقن الدماء والتوقي من معرة القبائل العربية .

ولم تكن حياته معهن حياة ترف ورفاهية ، وتوسع في المطاعم والمشارب وخفض العيش - وتلك غاية تعدد الزوجات في نظر كثير من الناس - بل كانت حياة زهد وتقشف ، وإيثار وقناعة ، لا يطيقها أعاظم الرجال وكبار الزهاد في القديم والحديث ، وشئ منها يعرفه القارئ فيما يتعلق بالأخلاق والشمائل ، وحسب القارئ المنصف أن يقرأ قوله تعالى : « يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها • فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحًا جميلاً • وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرًا عظيمًا » [سورة الأحزاب ، الآيتان : ٢٨-٢٩] .

وكان من أثر هذه الغاية المتوخاه ، والنفسية السامية ، والتربية العميقة المؤثرة ، أن اخترن كلهن - رضي الله عنهن وأرضاهن - من غير استثناء وتلكؤ الله ورسوله والدار الآخرة ، ويكفي مثالاً ، ما أجابت به عائشة - رضي الله عنها - فلما تلا رسول الله -ﷺ- هذه الآية ، وقال لها : لا عليك ألا تستعجلي حتى تستأمري أبويك ، قالت له : أ في هذا استأمر أبوي ؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة (١) ، قالت : ثم فعلت أزواج النبي -ﷺ- مثل ما فعلت (٢) .

ولم يشغل رسول الله -ﷺ- تعدد الزوجات ، وما يستلزم ذلك نفسيًا

---

(١) رواه البخاري في الجامع الصحيح عن عائشة .

(٢) رواه البخاري ، ورواه ابن أبي حاتم وأحمد .

واقتصاديًا واجتماعيًا ، عن النهوض بأعباء الدعوة ، والجهاد والتقشف ، والحياة المثالية ، والقيام بالأمور الجسام ، برهة من الزمان ، بل زاده ذلك نشاطًا وقوةً ، وكن أعوانًا له على القيام بما أكرمه الله به ، من تبليغ الرسالة ، وأداء الأمانة ، وتعليم المسلمين دينهم ، ذكورًا وإناثًا ، وكن يرافقنه في الحروب والغزوات ، فيداوين الجرحى ويمرضن المرضى ، ويشرن بالخير ، ويواسين في الشدة ، وبهن قام نحو ثلث الدين - مما يتعلق بحياته المنزلية والعشرة وكثير من الأحكام - تعلمها المسلمون منهن ، وحفظوه ونشروه (١) .

وناهيك بأم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - فقد قال إمام علم الرجال والطبقات الحافظ أبو عبد الله شمس الدين الذهبي (م ٧٤٨هـ) في كتابه المشهور « تذكرة الحفاظ » .

« كانت أكبر فقهاء الصحابة ، كان فقهاء أصحاب رسول الله -ﷺ- يرجعون إليها ، يروى عن قبيضة بنت ذؤيب ، قالت : كانت عائشة أعلم الناس ، يسألها أكابر الصحابة ، وقال أبو موسى ما أشكل علينا أصحاب محمد -ﷺ- حديث قط ، فسألنا عائشة ، إلا وجدنا عندها منه علماً ، وقال حسان : ما رأيت أحدًا من الناس أعلم بالقرآن ولا بفريضة ولا بحلال وحرام ولا بشعر ولا بحديث العرب ولا النسب من عائشة - رضي الله

---

(١) وقد أحسن الكلام في موضوع تعدد الزوجات وما كان فيه من حكم ومصالح وما يحيط به من أحوال وظروف ، مؤلف السيرة الهندي القاضي محمد سليمان المنصور فوري في ج/٢ من كتابه النفيس « رحمة للعالمين » راجع ص/١٤١-١٤٤ ، والكاتب المصري الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد في كتابه « عبقرية محمد » تحت عنوان « تعدد الأزواج » وعنوان « أسباب تعدد زوجاته » .

عنهـــا - (١) » .

وأما مكارم الأخلاق ، وعلو الهمة ، والجود ، والمواساة ، فعن البحر حدث ولا حرج ، وحسبك ما رواه هشام عن أبيه : أن معاوية بعث إلى عائشة مائة ألف ، فوالله ما غاب علينا الشهر حتى فرقتها ، فقالت مولاة لها : لو اشتريت لنا من ذلك بدرهم لحمًا ، فقالت : ألا ذكرتني (٢) ، وكانت صائمة (٣) .

وقد نشأت « مشكلة تعدد الزوجات » في حياة محمد -ﷺ- وشغلت عقول كثير من الباحثين الغربيين وأقلام الكتاب المستشرقين ، وكثر التساؤل عنها ، بسبب اخضاعهم الحياة الزوجية في بلاد العرب وفي الشريعة الإسلامية ، وفي العصر الذي ظهر فيه الإسلام ، للقيم والتصورات والأعراف الغربية ، وتسليط الموازين والمقاييس الغربية «التي ما أنزل الله بها من سلطان - وإنما هي وليدة حضارة خاصة ومجتمع خاص » على ما تقبله الفطرة السليمة والبيئة العربية ، وتقتضيه المصالح الخلقية والاجتماعية ، ويأذن به الله ، وتلك نقطة ضعف في التفكير الغربي وفي الكتابات الغربية يجعلون الغرب هو الميزان ، ثم يطلقون أحكامًا قاسية على كل ما جانبه أو اختلف عنه ، فيخلقون مشكلة ثم يعالجونها ، وما هي إلا نتيجة كبريائهم ، وتقديسهم الزائد للقيم و المثل الغربية ، وقد كان مؤلف السيرة الإنجليزي المستر

---

(١) تذكرة الحفاظ : ج/١ ، ص/٢٧-٢٨ ، طبعة دار إحياء التراث العربي .

(٢) نفس المصدر : ص/٢٨ .

(٣) زيادة من رواية أم ذرة (المصدر السابق) .

(R.V.C. Bodley) منصفًا وجريئًا في نقد هذا الشعور الغربي نحو تعدد الزوجات في حياة النبي -ﷺ- يقول في كتابه « محمد الرسول » :

« إنه لا داعي إلى قياس حياة محمد الزوجية بالمقاييس الغربية ، ولا الحكم عليها من وجهة نظر التقاليد والقوانين التي سنتها المسيحية في الغرب ، فلم يكن أولئك الرجال - العرب - غربيين ولا مسيحيين ، إنما نشأوا في بلاد وفي عصر كان يسود عليه نظامهم الخلقي الخاص ، ورغم كل ذلك لا مبرر لتفضيل النظام الخلقي الأمريكي أو الأوربي على النظام الخلقي العربي ، إن الغربيين لا يزالون في حاجة إلى بحث دقيق وتمحيص كبير لتفضيل نظامهم الخلقي وطريقة حياتهم على غيرها ، فعليهم أن يتجنبوا الطعن في ديانات أخرى ومدنيات أخرى » (١) .

وليست « شناعة » تعدد الزوجات « التي تخيلها الغرب ، وآمن بها أبناؤه في تقليد وحماس واعتبروها حقيقة بديهية مسلمة ، وجسّمها كتّابه ومشرعوه » ، شناعة دائمة على مر العصور والأجيال ، قائمة على أسس علمية ثابتة ، أو الفطرة الإنسانية السليمة ، بل هي شناعة خيالية عاطفية ، ناتجة عن دعاية قوية متحمسة ، تخف وقد تزول مع الزمان بتغير الاتجاهات والأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والتربوية (٢) .

٧٧٧

R. V. C. Bodley : The Messenger-The Life of Mohammad. (London. 1946) pp. 202-203 .

(٢) وإلى ذلك أشار الكاتب الغربي العصري (Alwin Toffler) في كتابه الحديث (Future Shock) الذي أحدث دويًا في الأوساط العلمية أخيرًا : اقرأ (على سبيل المثال) ص/٢٢٧-٢٣٢ (طبع لندن ١٩٧٥م) .

القلق ، مرض الحضارة الغربية

بقلم : دكتور علي القاضي - القاهرة

القلق :

حالة من التوتر الشديد الشامل الذي ينشأ من صراعات الدوافع بعضها مع بعض ومن مظاهر ذلك : شيوع السخط على الحياة والشعور بالغربة والكآبة وأزمة الأخلاق وفوضى مذاهبها ، ومعنى ذلك : أن العلم وحده ليس كافيًا لإسعاد الإنسان ، لأن العناصر الأساسية في الإنسان هي الجسم والعقل والروح .

نعم هناك قلق طبيعي في الإنسان - فالإنسان قلق في أحواله العادية - ولكن هذا القلق لا يعتبر مرضا لأنه يبعث على النشاط ويربط الإنسان بأمله ويدفعه إلى العمل والإنتاج وعمارة الكون ، والقلق في الحضارة الغربية المعاصرة سببه عدم الاتزان في التقدم الحضاري لأن تقدم الحضارة انحصر في التقدم المادي وتخلف عنه في الجانب الروحي - ومن هنا أصبح القلق أزمة إنسانية أساسها عدم الاتزان الفكري بين ثنائية الحياة المادية والروحية .

مظاهر القلق : ومن مظاهر القلق الخوف والتوجس وتوقع السوء تجاه أشياء معروفة أو مهمة والصراع بين نوازع الإنسان من جهة والقيود من جهة أخرى والتفكك العائلي ، والفردية والوحدة والانحلال الخلقي

والاغراق في المادة والعجز عن مواجهة المشكلات التي تعترض طريق الإنسان وذلك يؤدي به إلى أساليب مختلفة من التكيف يقصد بها التخفيف من التوتر ، ومنها :

الحيل الدفاعية : التي تقوم على تشويه الحقيقة ابتغاء تجنب الفرد لحالات القلق وما يصاحبها من الشعور بالذنب وذلك بإنكار الدافع أو الذكريات أو تشويه ذلك بالتبرير والإسقاط .

مصادر القلق :

والمصدر الأول للقلق : في الحضارة الغربية هو : محاولة إلغاء الدين في كل الاتجاهات ، سواء أكان ذلك في التيار الكهنوتي أم في التيار الهبليني أم في التيار الماركسي .

وتعتبر الماركسية الصبغة النهائية للحركة الأوربية في أسسها التي تتلخص في :

١ - الاتجاه إلى الطبيعة بدلاً من الاتجاه إلى الله تعالى .

٢ - الاعتقاد بأن الكائنات الحية ينبع من تطورها قانون حتمي .

وموقف الماركسية من الدين كان فيه عنف وتزوير للحقائق - وكان هدفها دائمًا محو الدين محوًا كاملاً من الحياة ، ومن الطرق المفضلة عند الماركسيين كانت مساواة الدين بالخرافات وكانوا يقولون : « إن الدين قد أصبح عديم الفائدة وإنه يخدم المستقلين دائمًا وإنه ينافي العلم » .

٣ - والمصدر الثاني للقلق : محاولة إلغاء العلاقة بين الحياة المادية والحياة الروحية .

وقد ظهر هذا الاتجاه أولاً كرد فعل عنيف على الفكر الكنسي وتطور

حتى انتفضت كل فكرة وراء الطبيعة ونتيجة لهذا التطرف ظهر الاتجاه العقلي ثم دعوات تأليفية للربط بينهما .

٤- والمصدر الثالث للقلق : شعور الإنسان بأنه مسئول عن تنظيم الوجود باسم النزعة الإنسانية .

٥- والمصدر الرابع للقلق : شعور الإنسان بضعفه في كثير من شئون الحياة .

وقد أدت حالات القلق في الغرب إلى تفشي ظاهرة الهروب من المجتمعات عن طريق المخدرات أو الهروب من الحياة عن طريق الانتحار .

هيا بنا نذهب إلى الجنة :

ومن الطريف بأن ظاهرة انتشار المخدرات بين الشباب تتم تحت عنوان يردده الشباب « هيا بنا نذهب إلى الجنة » والجنة المقصودة هي جرعات صغيرة من المخدرات .

ويقول خبراء الجمعية القومية لمقاومة المخدرات ومحاربتها في الولايات المتحدة في إحصاء تم في عام ١٩٧٨م كانت نتيجته أن ٤٢ مليون أمريكي تعاطوا المخدرات ولو لمرة واحدة في حياتهم - وتشير إحصاءات هيئة الصحة في الولايات المتحدة عام ١٩٧٨م إلى أنه بين كل تسعة طلاب هناك طالب يتعاطى المخدرات بشكل عام وهو ضعف ما كان عليه الحال عام ١٩٧٥م ، وفي دراسة لقسم الدراسات والأبحاث الاجتماعية في جامعة ميتشجن تبين أن نسبة متعاطى المخدرات بصفة عامة في أمريكا بلغت ٤٩٪ عام ١٩٧٥م ، ارتفعت إلى ٥٩٪ عام ١٩٧٨م .

فن الموت : كما أن القلق المستمر جعل بعض الشباب يهربون من الحياة

عن طريق الانتحار وقد بدأ الانتحار بطريقة فردية بحيث يختار فيها من يريد الانتحار أسلوب الانتحار ، ثم ظهرت جمعيات تخصصت في عمليات الانتحار الجماعي والتي أصبحت تقدم خدماتها للشباب وتعدهم بألوان التخلص من الحياة - لا يلاقون فيها متاعب - بل إنهم يجدون في أثنائها الهدوء والراحة .

ومن الملاحظ : أن هذه الجمعيات لها وجود فعلي قانوني ولها مقارّ رسمية ولها وفود تجتمع في مؤتمرات عالمية وقرارات تنفذ بصورة صارمة .

وجمعيات فن الموت تعلن أنها :

تمدك بالمعلومات الكافية عن أسرع الوسائل وأجملها بل وأحدثها أيضًا وتعرض عليك آخر جرعات السموم مغلفة بابتسامة رقيقة تودعك إلى الأبد وتدعوك لاستخدام حقك الطبيعي في حرية الموت .

أنواع الانتحار : ويرى دور كايم أن الانتحار في الغرب ظاهرة اجتماعية لها ثلاثة أنواع :

١- الانتحار الأناني :

الذي يرجع إلى انعدام تكامل الفرد كفرد في المجتمع - فيجد الفرد نفسه عاجزا عن الاستجابة أو الخضوع لأية سلطة فينعزل عن المجتمع - ويعتقد أن الجماعة لا تريد له الحياة فينتحر .

٢- الانتحار الإيثاري :

الذي يرجع إلى قوة العادات والتقاليد والعرف وخضوع الفرد لهذه السطوة بطريقة تنمي فيها شخصية الفرد بحيث لا يكاد يتمتع بكيان

مستقل متمايز ، فينفصل عن الجماعة التي ينتمي إليها ويستمد منها كل مقوماته فتصبح حياة الفرد قليلة الأهمية بالنسبة لنفسه وبالنسبة لغيره فيلجأ إلى الانتحار حين يحس بزيادة ضغط المجتمع عليه فينهار .

٢- الانتحار :

الناشئ عن الانحراف عن المعايير الثابتة نتيجة إخفاق الفرد في أن يتوافق مع المجتمع فيصعب على المجتمع تهيئة الفرد للتجاوب معه - أو حين تنهدم من حوله المعايير التي تنظم سلوكه وعلاقاته بالمجتمع - وبذلك يضعف الضمير الجمعي ويتحرر الفرد من الضغوط والقيود الاجتماعية التي توجهه فيتخبط في تصرفاته ولا يجد للحياة معنى فيعمد إلى الانتحار .

انتحار مشاهير :

ومما يلفت النظر ظاهرة انتحار بعض المشاهير الذين نالوا الكثير من العلم ومن المال ومن الشهرة ولكن مع القلق المستمر وعدم التكيف مع النفس ومع المجتمع ، منهم الروائي الكبير (شيرنان زفايج) الذي انتحر في البرازيل في إحدى ليالي الكرنفال الصاخبة عام ١٩٤٢م إذ تناول السم مع زوجته بعد أن كتب في إحدى قصصه الأخيرة .

« إن العالم الذي نعيش فيه لم يستطع أن يقدم لنا الشئ الكثير في الوقت نفسه الذي لن نستطيع مع المشاركة أن نغير أي شئ فيه ، إننا لا نعدو أن نكون مجرد أشباح وذكريات » والأديب الألماني كلاوس مان انتحر في عام ١٩٤٩م والأديب الإيطالي « سيز زبابرة » انتحر في

مدينة تورينو في عام ١٩٥٠م والأديب الأمريكي الشهير ارنست همنجواي انتحر في عام ١٩٧٨م والأديب الفرنسي جان انميري الذي التزم طوال حياته بأدب الموت انتحر في عام ١٩٧٨م والشاعر الألماني الدكتور هاثر باء بالغ في الاحتفال بانتحاره عام ١٩٨٠م - إذ تناول كمية كبيرة من الحبوب المنومة بعد أن ارتدى حليته الجديدة وترك الزهور على سريره الذي استقبل عليه الموت - وأرسل بطاقات نعيه إلى أصدقائه وكتب فيها :

« أصدقائي الأعزاء ! لقد استمتعت بوفاتي في مراسم الدفن السخيفة ورؤية المشيعين والجو المحيط بالجنازة » .

والكاتب البريطاني ارثر كوسفله انتحر هو وزوجته في عام ١٩٨٢م وقد كتب قبل موته مقدمة كتابه (مرشد تحرير الذات) الذي أصدرته مجلة تايم الأمريكية عام ١٩٨١م ، ومن طريف ما يذكر في هذا المجال ما ورد في المستخلصات الإحصائية للولايات المتحدة عام ١٩٨٤م في جدول الانتحار في العالم ونسبته من كل مائة ألف ، و قد احتلت الدنمارك المرتبة الأولى ثم النمسا ثم ألمانيا الغربية فسويسرا فالسويد فاليابان ففرنسا وكندا فبولاندا فالولايات المتحدة الأمريكية .

وتقول جمعية الواشنطن بوست الأمريكية : إنه خلال العقدين الأخيرين ارتفعت نسبة المنتحرين إلى ثلاثة أضعاف بنسبة ١١ لكل عشرة آلاف ، وتوجد ٧٠ مؤسسة لإقناع الراغبين في الانتحار وبالعدول عن ذلك ، وعدد الذين يرتادون المؤسسات مائة شخص يوميًا .

كيف نعالج القلق ؟ إن أبرز خصائص الإنسان المميزة له هي الرابطة

الأخلاقية التي تصله بمجتمعه وليست الصلة المادية القائمة بينه وبين المجتمع الذي يعيش فيه .

فالإنسان لا يخضع لظروفه المادية المفروضة عليه قدر خضوعه إلى ضمير يسمو على ذاته وهذا هو الضمير الاجتماعي - ذلك لأن الجانب الأكبر والأهم يتعدى جسده ويعطي حرية التحرك خارج شرنقة الجسد ولكنه يظل خاضعًا للمجتمع - غير أن المجتمع عند ما يضطرب نتيجة أزمة من الأزمات أو بسبب انتقاله نقلة عابرة فإنه يصبح بصورة وقتية غير قادر على ممارسة تأثيره - وهذا ما يسبب الارتفاع الفجائي في معدلات الانتحار .

والتحول الاقتصادي المفاجئ : يجلب مثل هذه الانقلابات - وكذلك في التبدل الذي يطرأ على بناء السلطة بسبب الانتفاضات السياسية أو الانتقالات الثورية لأن ذلك يستدعى تكيفا سريعًا يصعب تحقيقه من قبل الفرد أو المجتمع .

ومن الطريف أن دور كايم ، يرى أن الفاقة تحول دون الانتحار لأنها ضابط وقيد بعكس الغنى فإنه يرى أنه أقل خضوعًا وتعبيرًا من غيره مما يجعله أقل تسامحًا لأقل تغيير يواجهه .

والسعادة الحقيقية للإنسان تكون في التوازن الانفعالي والهدوء العاطفي ، والمنهج الإنشائي في العلاج يستهدف كفاية الفرد وإشعاره بالقدرة والسعادة باتباع الطرق المؤدية إلى تقوية الإدارة أو الخيال أو الذاكرة أو الشخصية .

الدين علاج القلق : إن علاج القلق يأتي أساسًا من الدين - فالدين

ضرورة إنسانية لا يستطيع الإنسان أن يعيش هادئًا مطمئنًا بغيرها - والقلق المعاصر ما هو إلا صحوة تشير إلى أهمية الدين و لابد من نظرة نقد بصيرة إلى تجديد مفهوم التكنولوجيا بالنسبة إلى مفهوم تحديد الإنسان ، وإن في الإنسان جانبًا روحيًا لا يمكن أن يغفل هو الذي يلجئه إلى الدين .

لقد جاء ماركس ليعالج القلق في مجتمع به قلق ولكن علاجه لم يفد شيئًا ، بل إنه زاد من حدة القلق حينما جعل الدين عضوًا في المحكمة القاتلة للجنس البشري - وعند ما رأي الدين يقرر العدل وله وسائله الشريفة أنكره - ومعنى إنكار الدين استمرار ظاهرة القلق فضلاً عن نتائج ظهرت بعد تطبيق نظريته فواصل طبقية من نوع جديد هي الحقد والحسد والبغضاء - وقد وقعت الماركسية في خطأ عظيم حين ربطت بين الدين وبين رجال الكنيسة ربطًا لا يقبل الموازنة وحملت الدين كل تصرفات رجال الكنيسة في العصور الوسطي مع أنهم لم يخلطوا بين النظرية والتطبيق في الماركسية - ولو فعلوا ذلك مع الدين لعرفوا قيمة الدين وأهميته بالنسبة للفرد وبالنسبة للمجتمع .

إن دين الله تعالى رفع من شأن الإنسان ورعى قيمه - والإنسان في جوهره موجود روحي ذو صلة بالله تعالى لأنه نفخ فيه من روحه وفضله على كثير من مخلوقاته وسخر له الكون وما فيه ليعمره طبقًا لمنهج الله تعالى ومن ثم كان الإنسان كائنًا أخلاقيًا حرًا .

لقد بحث كثير من العلماء الغربيين في صلة الدين بالإنسان وتوصلوا إلى النتائج الآتية :

١- الدين فطرة في الإنسان - والوحدانية أقرب إلى الفطرة وفي نفس الوقت هي الدور الحضاري لكل عقيدة ، والأديان السماوية هي التي بلغت بالتوحيد الغاية المرجوة ، وامتزاج عقيدة الروح بكل عقيدة دينية ، وإذا كانت الإنسانية في جميع أدوارها قد تخلت عن الاعتقاد فإن معنى ذلك أن في الطبع الإنساني جوعًا إلى الاعتقاد كجوع المعدة إلى الطعام .

وهذه الأبحاث تهدينا إلى ما يقرره القرآن الكريم تاريخيًا للحياة الدينية في الإنسان وهو أن الدين : ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله • ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون • منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين ﴾ [سورة الروم ، الآيتان : ٣٠-٣١] .

والدين يقوم على ثلاثة أسس :

الأساس الأول : وجود الله تعالى .

الأساس الثاني : الرسول الذي بلغ عن الله تعالى ، ومن أهم مقوماته : الوحي والمعجزة . والمعجزة أمر خارق للعادة يظهره الله تعالى على يد من اصطفاه للنبوة .

الأساس الثالث : الإنسان - والإنسان متدين بفطرته - قادر على السلوك العقلي والحكم على الأشياء والاختيار الأخلاقي .

والإسلام :

تركزت دعوته حول المادة والروح - وقد نهى القرآن الكريم عن الإخلاد إلى الأرض فقال : ﴿ واتل عليهم نبأ الذي أتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى

الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ﴾ [سورة الأعراف : الآيتان : ٧٥-٧٦] .

كذلك عارض الإسلام الاتجاه الروحي البحت فقال : ﴿ و رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم ﴾ [سورة الحديد ، الآية : ٢٧] .

والإسلام يؤكد التلازم بين الإنسان وبين الدين على التخفيف من العزلة والغربة الروحية التي سيطرت على هذا العالم على أساس أن الدين يقوم على الإيمان بالله وعالم الغيب ، ورسمه للطريق إليه وإحياء دلالة الدنيا والآخرة - فهذه الدلالة الثنائية تخفف من سيطرة القلق على أساس أن الموت ليس فناء وإنما هو وجود مرتبط بالأبدية وبالله تعالى فهذا يخفف من الإحساس بالغربة لأن الدين مرتبط بالإيمان بالله تعالى .

والعامل الإلهي هو وحده الذي يستطيع أن يجعل الإنسان مدركًا للشعور بالألفة والصلة ومتوخيًا غاية وجوده - الله تعالى - أساسًا هو الذي يمكن أن يستسلم له الإنسان استسلامًا كاملاً فيحس بالراحة والأمن والاطمئنان الكامل .

إن العصر الحاضر هو عصر التقنية وهو موجة نحو المستقبل ولا يسمح للروح بأي فراغ لتؤكد نفسها .

وبتأثير السرعة الفائقة القائمة على الآلية المتزايدة للحياة أثر قاتل على الروح الإنسانية ، وبتأثير السرعة الفائقة انحلت الإنسانية إلى أجزاء ضئيلة - وسبيل الروح إلى تحقيق شخصيتها يكون بالتأمل - والتأمل هو مركز الإيمان يقول الله تعالى : ﴿ إن في خلق السماوات

والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب » [سورة آل عمران ، الآية : ١٩٠] .

وفي سنة ١٩٥٩م عقد في برشلونه المؤتمر الثاني عشر لجمعية الصحة العقلية تحت رئاسة الدكتور ريز الذي قال في هذا المؤتمر : « إن أهم ما يمتاز به القرن العشرون أنه تسوده عوامل الصراع والتطاحن والحرب النفسية لدرجة جعلت الكثير من سكان العالم في بقاع الأرض المختلفة يعيشون على حافة الهاوية . وكل هذا دعا الباحثين في علم النفس إلى أن يطلقوا على هذا العصر » : [عصر القلق]

و الإسلام :

يعالج القلق عن طريق وصل الإنسان بخالقه سبحانه وتعالى ، وحينئذ يبدأ في الشعور بالراحة والطمأنينة لأنه يحس بأن له سندًا قويًا في هذه الحياة وذلك يبعثه على التغلب على مشكلاته والنظر إلى الحياة بعين راضية .

والإيمان :

لذلك يزيل جميع العلل المادية والحضارية في عالمنا المعاصر إذ أن القلق المرضى يزداد مع نشاط الحياة القائمة على المادة وحدها .

بعيدًا عن الإيمان وقوته

وصدق الله العظيم القائل : « وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارًا » [سورة الإسراء ، الآية : ٨٢]

المعلم و العلم الحديث [+]

[١]

بقلم : دكتور محمد مسلم خان
المدرس في كلية الجماعة بزاريا - نيجيريا

كفى للعلم شرفا أنه صفة من صفات الله ، وكفى له فضلاً أنه أهّل آدم ليكون معلم الملائكة ومسجودًا لهم ، وكفى له عزة وجلالاً أنه مكن الإنسان أن يطير في جو السماء ويبحر البحار والأنهار ويسير في الأرض مسيرة غدوها شهر ورواحها شهر ، وكفى له كرامة ومعجزة أنه سخر للإنسان ما في بطون الأرض وأعماق البحار وغابات الصحارى ومغارات الغابات والمفازات من الكنوز والزروع والمخازن والمعادن ، فسبحان الذي كرم بني آدم وحملهم في البر والبحر ورزقهم من الطيبات وفضلهم على كثير ممن خلقهم تفضيلاً .

فكل ما نرى من مظاهر الحضارات في الغابر والحاضر من التعمير والتسخير ومن الاختراعات والاكتشافات في ميادين الطب والهندسة والمواصلات والطبيعة فكل ذلك من ثمرات العلم وآثاره ، فالإنسان المعاصر يسير من الأرض إلى سطح القمر وما ذلك إلا من عجائب العلم التكنولوجي ، ويشق صدر الإنسان ويستخرج قلبه ويصلح أو يزرع مكانه قلبًا آخر صناعيًا،أو يفك مخه ويبدل فيه شيئًا بشئ أو ينظف ويغسل ، وما ذلك

(+) محاضرة اعدت للالقاء في الندوة العلمية التي نظمها مركز هيئة الإغاثة العالمية بكدونا في يومي الأربعاء والخميس ١٢-١٤ من شهر مارس عام ١٩٩١م .

إلا من عجائب علم الطب ، ويكلم الإنسان من قارة إلى قارة ويظهر صورته في شاشات التلفزيون من آلاف الأميال ، ويبعث رسالة كتابية من قارة إلى أخرى فتصل في نفس اللحظة ، وما ذلك إلا من عجائب علم الطبيعة ، ويشيد العمارة فيبلغ طولها عنان السماء، وما ذلك إلا من عجائب علم الهندسة .

فإذا فهمنا هذا وأخذناه بعين الاعتبار فلنعلم ان الإسلام دين لهذا الإنسان الذي له ما سبق من أنواع العلم والذكاء ، ولنعلم انه دين منزل من ذلك الخالق الذي أحاط بكل شئ علما والذي يعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات البر والبحر ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين .

فمن البداهة والمنطق إذن أن يكون الإسلام دين العلم والعرفان ، دينًا يحمل أهله أن يطلبوا العلم من المهد إلى اللحد .

تقسيم العلم إلى العلم الشرعي التوقيفي والعلم الكوني التجريبي :

لعله يصح أن نقسم العلم إلى العلم الشرعي التوقيفي مرجعه كتاب الله وسنة رسوله -ﷺ- وما يتبنى عليهما من الفروع الفقهية الاجتهادية ، وإلى العلم الكوني التجريبي وهو ما يحصله الإنسان من الأمور المحسوسات باستعمال ما وهبه الله من العقل والذكاء والتفكير والتدبر وعرض المحسوسات بعضها على بعض والمقارنة والموازنة واستعمال طرق التحليل والتجريب وباستخراج النتائج من الوسائل والمقدمات .

فالناس علموا شيئًا كثيرًا وقطعوا شوطًا وافرًا في هذا المجال ، ولم يزل العلماء يضيفون أشياء إلى الحضارة البشرية يوميًا أو شهريًا أو سنويًا ، فالذي يحسبه العلماء اليوم انه غاية الحق والتحقيق تثبته الأيام الآتية بتطور علمي جديد بأنه لم يكن إلا باطلاً أو كان بداية

المطاف فقط ، و صدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء ﴾ ويقول : ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾ .

ففي هذا القسم من العلم يصيب العلماء في معظم الأحايين وقد يخطئون أيضًا ، مثلهم كمثل الطبيب قد يصيب في توصيف المرض والدواء وقد يخطئ أيضًا ، وفي هذا القسم من العلم يكون الإيمان والكفر سواء ، إذ الأمر يتوقف على بذل المجهودات على طريقة مناسبة مع الانتباه والحيطة ، فمن سبق في استعمال الوسائل الصحيحة وبذل المجهودات اللازمة سبق في هذا القسم من العلم مؤمنًا كان أو كافرًا .

فلا غرابة إذن أن تقدمت أمريكا في ميدان الاختراعات مع كفرها وتأخرت دولة إسلامية مع إيمانها ، وقد أشار إلى هذه الحقيقة رسولنا الكريم إذ يقول : « إن الله -عزوجل- لم ينزل داءً وإلا أنزل له شفاء ، علمه من علم وجهله من جهل » [رواه أحمد في مسنده عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- كذا في زاد المعاد] فكلمة (من) تدل بلا ريب على عموم بين البشر من غير اشتراط الإيمان كما هو الظاهر .

الإسلام يأمر بالجمع بين العلوم الدينية والكونية :

الإسلام - بصفته أكمل الأديان وأتمها وخاتمها - يأمر أهله أن يجمعوا بين علوم الدنيا والآخرة ، وبعبارة أخرى بين العلوم الدينية والعلوم الكونية ، يدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ﴾.

فهذه الآية تأمر المسلمين على التسلح التفوقي الذي يبث الرعب في قلوب الكافرين فلا يتجرؤن على المهاجمة على المسلمين ، أو لا يستطيعون المقاومة إن قدر الله المجابهة ، والتسلح التفوقي لا يمكن إلا بالتسابق في

ميدان العلم الكوني .

ويقول الرسول -ﷺ- : « إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له » [رواه مسلم] فقوله -ﷺ- : علم ينتفع به يشمل سائر العلوم من الفيزية والتكنولوجية والطبيعية التي تعود بالنفع على الناس أيضًا .

فالقرآن الكريم لفت أنظار الناس في كثير من الآيات إلى التفكير العميق فيما حولهم وما فوقهم من السماء والأرض وما فيهما من العجائب والغرائب من الخلق ، ومن المعلوم ان التفكر العميق هو مصدر العلوم الكونية والاختراعات الحديثة غير أن القرآن الكريم وضح بأن التفكير في الخلق وحده لا يضمن الوصول إلى الحق والسعادة ما لم يصحب ذلك مع العقائد الدينية والتعاليم السماوية ، فاقرأوا هذه الآيات من سورة الفاطر تصلوا إلى ما أقول من النتيجة :

يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فأخرجنا بـــه ثمرات مختلفًا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ، ومن الناس والدوآبّ والأنعام مختلف ألوانه كذلك ، إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور • إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرًا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ﴾ [سورة الفاطر] .

فهاتان الآيتان جامعتان جدًا - على فهمي - في الجمع بين العلوم الكونية والدينية ، فذكر الله سبحانه وتعالى نزول المطر وخروج النبات والثمرات مختلفًا ألوانها وهذا علم النبات ، ثم ذكر الجبال وما فيها من

الصخور المختلفة ألوانها والطرق المتعددة أشكالها وذلك علم الجماد ، ثم ذكر الناس والدواب والأنعام وذلك علم الحياة . فالعلوم الكونية تدور حول رحى هذه الثلاثة أصلاً ، ثم ذكر الله مباشرة مدح العلماء ، وقال : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ والعلوم التي ذكرت سالفًا ليست طبعًا إلا العلوم الكونية وهذه العلوم مهما بلغت في أوجها وتقدمها لا تضمن وحدها سعادة الإنسان ، من أجل ذلك اردف الله قائلاً : ﴿ إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرًا وعلانية يرجون تجارةلن تبور﴾ وهذه هي العلوم الدينية ، ثم أتم قائلاً : ﴿ ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور ﴾ .

فالوعد بتوفي الأجور والزيادة من فضله على الجمع بين هذين القسمين من العلوم - الكونية والدينية ، ومن اكتفي بأحدهما لا يستحق أن يعيش في كمال السعادة وأن يقود البشرية إلى تمام النجاح والرفاهية .

الحضارة الاغريقية وسبب فشلها في إسعاد البشر :

فقد بلغت كثير من الحضارات في الماضي قبل الإسلام كحضارة بابلية وحضارة مصرية وحضارة اغريقية إلى أوجها في برهة من الزمن وفعلت فعلها في تأثير العقول وتصريف الميول على التفاعل بها والمسايرة معها، ولكنها لم تلبث أن ماتت وفنيت ودفنت تحت التراب أو ذهبت أنقاضها إلى المتاحف ، وما ذلك إلا لأنها كانت عارية من تعاليم السماء بل كانت باغية عليها فدمر الله عليهم وللكافرين أمثالها ، فهذا أرسطو - فيلسوف الاغريق الذي لُقب بمعلم العلماء وأستاذ الأساتذة والذي بهرته فلسفة عقول العالم ، كان مريضًا بشذوذ خلقية وكان له أخدان من الأولاد وكان مدمن الخمر ، ومن ناحية أخرى كان مغرورًا بعلمه ومنتجات عقله ،

قيل انه علم بنبوة موسى وتعاليم دينه ، فقال رافضًا : « كفانا العلم من هذا نورًا وفلاحًا » ولعل الله أنزل في مثله قوله : ﴿ فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ﴾ [سورة المؤمن - الغافر] .

مساهمة علماء الإسلام في الحضارة العالمية :

أريد الآن أن أعود إلى ما كنا عليه من بيان ، أن الإسلام يأمر أن نجمع بين العلوم الكونية والدينية ، فأقول : إن الإسلام لم يعان في الغابر من قحط الرجال وقلة العلماء بل كان للإسلام صفحات لامعة من تاريخ العلم والبحث والإيجاد والاختراع في حين كانت أوربا أو الغرب تعيش في التخلف العلمي والتقني ، فكان لمدينة دار السلام أي بغداد من العلم والعلماء ما لأمريكا في عصرنا هذا ، فكان الناس من شتى أنحاء العالم يتوافدون إلى بغداد ليتتلمذوا على علمائها ويتعلموا ما لديهم من الجديد في الطب والهندسة والكيمياء والفيزيا والرياضة والطبيعة ، ولكن المسلمين ابتلوا أخيرًا باختلاف ذات البين فتفرقت كلمتهم وتمزقت وحدتهم ودولتهم إلى دويلات يحارب بعضهم بعضًا فغربت شمس المجد والكرامة والافتخار بالبحث والدراسة ، وطلعت رويدًا رويدًا في أفق العالم الغربي تطبيقًا لسنة الله في الأيام والتاريخ ﴿ وتلك الأيام نداولها بين الناس ﴾ وإليكم الآن قائمة أسماء أولئك الذين ساهموا في الحضارة العالمية من علماء المسلمين الذين اعترف بفضلهم الغرب وترجموا عملهم إلى لغاتهم وقاموا بدارسته وتحليله :

١- في الطب حسين بن آدم ويعقوب خالد وأبو بكر محمد بن زكريا الرازي الذي ألف حوالي ١٥٠ كتابًا ورسائل في الطب ، وأبو علي سينا

الذي ألف كتابًا في الطب وسماه قانون الطب ، وأبو القاسم الز هراوي ومحمد بن أحمد تميمي وابن الهيثم وسعيد بن هبة الله .

٢- وفي الكيمياء جابر بن حبان وهو أول من قام بهذا العلم على الإطلاق ، ومحمد بن ساسي ، والرازي وأبو علي بن سينا .

٣- وفي الرياضيات علي بن سعيد ، وأبو سعيد جرير جرجاني ، ومحمد ابن موسى خوارزمي ، وأحمد بن سهيل بلقاني ، وعلي عمراني ، وسعيد دمشقي ، وأبو الوفا بزجاني ، والبيروني ، والنسائي .

٤- وفي علم الحياة عبد المالك بن قايب الأسماعي .

٥- وفي علم الطبيعة محمد بن موسى ، وأحمد بن موسى وحسن بن موسى (ثلاثة اخوة) .

٦- وفي النجوم ابراهيم فرازي ويعقوب بن طارق و يحيى بن منصور، ومحمد بن جابر البطامي وابن يرنس .

٧- وفي علم النفس والاجتماع أبو حامد الغزالي ، وابن خلدون - رحم الله عليهم جميعًا - .

واجب المعلم تجاه العلم الحديث :

بعد هذا الوجيز السريع عن مكانة العلم في الإسلام ومجده وتقسيمه إلى العلم الديني والعلم الكوني التجريبي ، فان العلم الكوني التجريبي وحده لن يضمن للإنسان بقاءه وسعادته ، وإن العلم حضارة إنسانية لا يختص بها نوع دون نوع وشعب دون شعب وإقليم دون إقليم ، وإن الأمم والأقوام ساهموا فيها على مدى القرون والعصور وتركوا آثارهم وخلفياتهم في الخير والشر والبناء والدمار ، وإن الإسلام ساهم فيها مساهمة فعالة بناءة تلذ عليها العالم الغربي قرونًا من الزمن ، وإن الإسلام

لم يزل يرغب المؤمنين على طلب كافة أنواع العلم المفيدة البناءة . إذ أن العلم والحكمة ضالّة المؤمن فهو أحق بها من غيره أينما وجدت .

بعد هذا العرض أود أن أقول ينبغي للمعلم العربي أو الديني أن يكون واعيًا وملما بما يجرى حوله في العالم من التقدم العلمي والتفوق التقني وما ينجزه العالم في ميادين الاختراعات والاكتشافات في الطب والهندسة والطبيعة والفيزيا والفلك والنجوم بقدر ما يجعله مؤهلاً على أن ينطق بلغة العصر وأن يتمشى مع مدارك عقول الناس ليستطيع أن يثقف الطلاب وأن ينبه الناس على علم وبصيرة ونقد وجرح وأخذ ورد، ذلك لأن كل ما يقال عن العلم والمعرفة والبحث والدراسة لن يكون حقًا مقبولاً ، بل منه ما هو حق يقبل ومنه ما هو باطل يرد ، وذلك لأن العلوم الحديثة وليدة العقول ونتيجة التجارب ، وعقول الناس لم تزل تتطور وتجاربهم لم تزل تتغير ، فكم من حق ثابت بالأمس لدى العقول صار باطلاً في مختبر اليوم ، فمن ثم ينبغي للمعلم أن لا يصدق كل ما يكتب في الكتب وينشر في الجرائد والصحف باسم العلم الحديث أو التحقيق العلمي فينكر الحقائق الدينية كما حدث مع بعض العلماء المنهزمين المسلمين فأنكروا وجود الجن أو معجزة النبي -ﷺ- أو بعض الأخبار عن المغيبات كنزول عيسى بن مريم وخروج دابة الأرض وظهور الدجال وما إلى ذلك من أشراط الساعة ، وكذلك المعلم الواعي الخبير لا يرفض كل شئ من العلوم الحديثة قائلاً : إنه من الخرافات أو من تلبيس إبليس ، لا يقوله إلا الكافرون ، لأنه من العلوم الحديثة ما هو مفيد ومعين للدين ، فكم من غامض ديني انكشفت أسراره بسبب العلم الحديث ، وكم من مشكل سهل فهمه الآن .

[يتبع]

المرأة . وحقوقها المادية في الإسلام (+)

بقلم : فضيلة الشيخ عبد الكريم بارك
(مترجم من الأردوية)

أصبحت حقوق المرأة اليوم موضع اعتناء كبير على الصعيد العالمي . وبدأ الناس على اختلاف طبقاتهم ومستوياتهم يشيدون بمكانتها ويرفعون الأصوات لأداء حقوقها .

ولكن لم يتبين مع ذلك ، الأسس والمبادئ التي يعتمدون عليها في أداء هذه الحقوق ، والتي تكون ضمانًا لنيل ما يزعمونه من حقوق للمرأة .

السفور و العري للمرأة :

إن ما جربناه من هؤلآء المفكرين والمعنيين بحقوق المرأة في العصر الحديث والكلام الذي قرأناه في كتاباتهم ، هو أنهم لا يتوخون من وراء ذلك إلا عرض المرأة في الأسواق والأفلام وفي المراقص والملاهي سافرة متعرية ، أو توظيفها في وظائف إدارية وخدمات مكتبية حيث تكون سكرتيرة خاصة للرئيس ، أو موظفة لأعماله الشخصية ، ويتم اختيارها في الوظائف على أساس من جمال بدنها وأناقة جسمها ، ولذلك فإن المرأة التي تتجرد عن هذه الصفات لا تكاد تظفر بوظيفة ما ، مهما كانت حقيرة .

(+) جاء هذا المقال بمناسبة المؤتمر العالمي للمرأة الذي عقد في الصين ، في شهر سبتمبر المنصرم لمنح المرأة حقوقها من الحرية والمساواة .

التضحية التي تقوم بها المرأة :

تتحمل المرأة المسكينة أذى المحيض مع القيام بواجب الشئون المنزلية ، وهي تبذل ثلاثين شهرًا في تحمّل مشاق الحمل والوضع والرضاعة وتربية الولد ، وهي مدة تستغرق تسع مائة يوم بإزاء كل مولود .

أضف إلى ذلك ما تلزم به من خدمة الزوج والطهي ، وخدمة المرضى والاهتمام بالقرابات ومراعاة الأسباب اللازمة لها ، ومن الظلم بعد ذلك أن تتجه إليها مسئولية الكسب والمعاش ، كما هو الشأن في الحضارة المادية الراهنة .

تحريض المرأة حيّـــة :

يتعسر تزويج البنت ما لم يرض أهلها بتقديم هدايا غالية وأجهزة وفيرة ، وأموال طائلة إلى أولياء الزوج ، أما إذا تحقق الزواج و وقع تأخير في أداء الهدايا الموعودة فسوف تواجه العروس البريئة مضايقات من قبل أقرباء الزوج وأهل أسرته ، وقد تنتهى المأساة بتحريق العروس وقتلها ، ومثل هذه المأساة شائعة معلومة بين الناس في الهند ، وطالما تنشرها الجرائد ، أصبحت المرأة متاعًا رخيصًا للغاية فهي وسيلة للدعايات والإغراءات ، تُستخدم صورها شبه العارية في المبيعات من الأمتعة والبضائع وحتى الحاجيات من المأكولات والمشروبات .

هكذا أساء الماديون الأغبياء إلى المرأة المسكينة مهدرين حقوقها وشرفها وباعوها في أسواق المناداة بغاية من الوقاحة والبشاعة ، وعرضوها على شاشة الأفلام عارية عن كل شئ ، بأشكال رذيلة يعجز

عنها التعبير .

منزلة المرأة المؤمنة في الكتب السماوية :

أما مكانة المرأة التي رفعها الإسلام ، وعظمتها التي تتجلى في الكتب السماوية المنزلة من الله فهي غنية عن التعريف .

كان النبي -ﷺ- خاتم النبيين فأنزل الله -عزوجل- عليه القرآن الكريم لهداية الناس جميعًا وهو يحتوي على مائة وأربع عشرة سورة ، ومن بينها سورة خاصة بالنساء ، فسميت سورة النساء ، فيها تفاصيل كثيرة مما يتعلق بحياة المرأة والعلاقة التي بينها وبين الرجل .

فإذا أردتم أن تطلعوا على جميع التفاصيل التي تتعلق بالمرأة فاقرأوا ما تيسر من القرآن بلسانكم جيدًا وتدبروا في معانيه ، وإن أردتم العلم الإجمالي عنها ، والاطلاع على مكانتها ودورها في الحياة الفردية والجماعية للمؤمنين من كل جهة ، فارجعوا إلى دراسة سورة البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والأعراف ، ومريم ، والنور ، والمجادلة ، والتحريم ، والأحزاب ، والطلاق .

ويمكن مشاهدة المرأة بمكانتها ودورها في المجتمعات التي قامت على أساس من تعاليم الكتاب والسنة ، واسمحوا لي بأن أقدم إشارات إلى بعض الخصائص التي أكرم الله بها المرأة في الإسلام :

١- ليست المؤمنة من صنف المبيعات والمشتريات ولكنها تبلغ درجة نصف الإيمان لزوجها المؤمن .

٢- اشتركت المؤمنة في ميراث أبويها في اليوم الذي تولدت فيه .

٣- لا يملك أحد أن يزوجها بأحد من المسلمين بدون أذنها ورضاها ، وإن

الإسلام قد أثرى المرأة أول ما أثراها بمال المهر .

وأوجب لها من تركة الزوج الثمن إن كان لها ولد ، فإن لم يكن لها ولد فلها الربع .

٤- وثبت لها السدس من تركة أولادها منذ أن ولدتهم .

٥- وجعلها الإسلام ذات ثروة تتمتع بجميع الحقوق فلذا ألزم عليها أن تؤدي زكاة مالها وأعطاها حق التجارة من مالها لكي تكون سببًا في نماء ثروتها .

ومعلوم أن مناط التجارة في عهد الصحابة كان على القوافل التجارية في أغلب الأحوال ، فكانت المرأة المسلمة تساهم في التجارات بواسطة التجار الأمناء ، وتربح فيها ، أ فلا تستطيع المرأة المسلمة اليوم أن تقوم بالتعامل التجاري بطريق السهام التجارية التي تعامل بها الشركات التجارية على الأسس الشرعية ، والإسلام لا يمنع المرأة عن مثل هذا النشاط التجاري ، بل إنه يشجعها ، والأمثلة في التاريخ كثيرة .

٦- أكرمها الإسلام بالعفة والحياء فليست المرأة المؤمنة هي التي تتجول في الأسواق كاشفة رأسها شبه عارية ، كالمرأة في الحضارات المادية التي فقدت الشعور بالحياء وحرمت نعمة العفاف والطهر .

نصف الإيمـــــان :

قرر الإسلام للمرأة المسلمة مكانة رفيعة بنتًا وأختًا ، وزوجة وأمًا ، فالأم تفوز بمنزلة عالية في الأسرة ، فقد فرض الإسلام على الأولاد أن يبروا بها ، وبشر لهم بالجنة التي تكون تحت أقدام الأمهات ، والزوجة تعتبر نصف الإيمان للزوج في الإسلام ، وكذلك البنت والأخت لهما أهمية

كبيرة في المجتمع الإسلامي .

أما الإسلام فإنه لم يثقل المرأة بمسئولية الكسب وتوفير أسباب المعاش ، ذاك أنها تعاني من آلام المحيض والحمل والولادة والرضاعة وتدبير الشئون المنزلية ما يجعلها في غنى عن كل تبعة مما يتحمله الرجل ، وقد شهد بذلك كتاب الله تعالى فقال تعالى في سورة الأحقاف : ﴿ حملته أمه كرهًا و وضعته كرهًا وحمله وفصاله ثلاثون شهرًا ﴾ .

وكما منحها الإسلام درجة البنت والأخت والزوجة والأم ، وزوجة الابن ، والمعلمة وحافظة البيت ، وسلم إليها جميع هذه المسئوليات في الأحوال العامة ، كذلك سمح لها بالمشاركة في الجهاد بما يساعد المجاهدين في سبيل الله .

والإسلام ما أساء الأدب إليها في أي مكان وما أقل كرامتها وما جعلها لعبة يتلهى بها الرجل ، وما جعل جسمها صالحًا للبيع والشراء بل حرّم ذلك تحريمًا باتًا ، ورفع مكانتها على كثير من الرجال البارزين ، حينما جعل الجنة تحت أقدام الأمهات .

جمال المرأة في عفتها وطهرها :

اهتم رسول الله -ﷺ- ببيان عفتها وطهرها ، حتى إن من ينظر إليها بعين الطمع والشهوة يعاقب ، وأما من يتهم المرأة كذبًا وقرفًا فإنه يجلد على رؤس الأشهاد ، ألا يتبين بهذا السلوك مكانة المرأة في الإسلام ، ما دامت عفيفة تقية ، تعمل بأحكام الشريعة وتعيش وفق مرضاة الله ، طائعة خاشعة ، قانتة سائحة ، ولا فرق في السلوك الشرعي بينها وبين الرجل ، يقول الله تعالى : ﴿ إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات

والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرًا والذاكرات • أعد الله لهم مغفرةً وأجرًا عظيمًا ﴾ .

دور المرأة في بناء المجتمع :

من هنالك كان للمرأة في الإسلام دور مهم جدًا في بناء المجتمع الأفضل وهي مسئولة عن اتباع طريق المؤمنين والتمسك بتعاليم الدين ، وقد سجلت المرأة المسلمة في التاريخ مواقف جريئة كريمة في هذا المجال ، وكانت سببًا لازدهار الأسر والعائلات ، وتوجيه الرجال إلى حياة العز والسعادة والاتصال بشريعة الله ورسوله -ﷺ- ، وبذلك أسدت المرأة إلى الرجال منة ، وأنقذتهم من المهالك ومواقف الشقاء والتعاسة ، وحولت الحياة من جحيم الشهوات والجرائم والتلوثات الخلقية إلى جنة الحب والسعادة والسرور .

المرأة ، كما ينظر إليها كبار الناس :

أخرج الإسلام مما كانت عليه المرأة مع بعثة النبي -ﷺ- وخلع عليها لباس الحياء والعفة وجعلها سيدة البيت ، ومربية الجيل ، وصانعة التاريخ ، وقرر لها دورها في إسعاد الحياة والمجتمع ، كما يشهد بذلك كتب السيرة ، ولكنها تُعامل اليوم من قبل زعماء الحضارات الإنسانية ، بما لا يخفى على المطلعين ، أما قيمة المرأة في الحضارات والديانات السابقة فهي كما يأتي :

١- المرأة أخطر من الثعبان (اليونان) .

٢- إنها بنت الشر والفساد (يوحنا) .

٣- إن المرأة قرينة الشيطان (قديس برنابا) .

٤- الإنسان السيئ يتحول إلى صورة امرأة غير مرضية في النتيجة والمآل (سقراط) .

٥- المرأة من خزنة أبواب جهنم ، وهي عدو الأمن ، وما ترك آدم الجنة إلا بتحريضها (قديس جون ديسپين) [ولكن الله -عزوجل- يقول في كتابه المجيد : ﴿ فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما ﴾] .

٦- إن المرأة ثعبان (جريجري) .

٧- كان النصارى في دولة الروم يعتبرونها بمنزلة الحيوان وكانت تقتل باثم قليل ، ولما ظهرت حركة النفور والكراهية من السحر قيل:إنها هي أصل كل سحر .

ولا تستطيع المرأة أن تمس المصحف في الديانة الكاثوليكية ، ولكن الإسلام يسمح لها بذلك بعد غسل الجنابة والحيض والنفاس ، وتصح صلاتها وصومها وتلاوتها بعد تطهرها من هذه الأيام ، وتكون متساوية للرجل في العبادة وجميع المعاملات .

وكانت تُعتبر المرأة مملوكة في الجاهلية ، وكانت جزءًا من تركة المتوفى ، أما في العهد الحديث اليوم فهي تستخدم كعاملة وأجيرة وموظفة في الدوائر الرسمية وغيرها ، والذين يجعلونها ذريعة للاكتساب وازدهار التجارة ، وأداة لترويج البضائع والانتاجات الصناعية ، لماذا لا يشاطرونها في آلامها وآذاها أيام الحيض والنفاس والولادة والرضاعة .

ليس الأمر خافيًا على أحـــد : والأصوات التي ترتفع اليوم دفاعًا عن

المرأة وحفاظًا على مكانتها ليس مصدرها إلا الهوى ، واتباع الشهوات ، ما دامت شابة ذات جمال وأناقة ، أما المرأة التي أصبحت كبيرة السن وفقدت حسنها وطراوتها فهي لا تكون جديرة بالاعتناء لدى زعماء التجديد والتطوير الذين لا يرغبون إلا في لذة جزء من أجزاء جسمها ، وهم الذين يقيمونها في المكاتب والمتاجر ، ودوائر العمل العامة وفي كل مكان .

ولا يوجد هناك مصنع أو مكتب يقوم بتوظيف المرأة الدميمة أو الطاعنة في السنّ ، فماذا يعني ذلك ، والمرأة هي هي ، وإن كانت كبيرة السن أو دميمة الصورة ، كيف تطيب نفوسهم بهذا التمييز بين المرأة والمرأة ، وهم يدعون برعاية المرأة ، ويدافعون عن حقوقها في المساواة مع الرجل .

الواقع أن العطف على المرأة ليس مبعثه إلا المصالح المادية والشهوانية التي تركز عليها حضارات اليوم ، وهي التي تدوس كرامتها ، وتوديها إلى مستوى الزبالات ، وما نراه اليوم من حوادث الفتك والقتل ، والجرائم الجنسية ليس وراءها إلا هذه الروح النجسة الخبيثة التي تختفى بين جنبات هذه الحضارات والمجتمعات المادية الخالصة ، وهي التي تقوم بإشاعة الفاحشة والأدواء الجنسية بين المجتمع البشري الذي يجتنى ثمارها المرة اليوم على جميع المستويات .

ولقد فضّل النبي الكريم -ﷺ- المرأة الصالحة على جميع أمتعة وذخائر الدنيا ، فقال : « إن الدنيا متاع ، وخير متاعها المرأة الصالحة »

دراسات في السنة :

الأحاديث الضعيفة والموضوعة في التفسير بالمأثور

وموقف العلماء منها ، وتحته ثلاثة مباحث

بقلم : سعادة الدكتور عمر يوسف حمزة
أستاذ مساعد بكلية الشريعة والقانون - جامعة قطر

المبحث الأول : استكمال العلوم شرط لازم للمفسر :

إن من أعظم البلايا التي يصاب بها الفرد والأمة الجهل ، وإليه يعود تخلف الأمة في ميادين الاقتصاد والسياسة والقوة والفكر والاجتماع ، وهو بسبب بُعد الأمة عن الدين .

ولا خلاص للأمة مما تعانيه إلا بالعلم ، ومن هنا كانت دعوة الإسلام إلى العلم الخطوة المتقدمة في علاج الأمراض المتعددة التي تشكو منها الإنسانية قاطبة .

والجهل أنواع ، ومن أشد أنواعها خطرًا وأسوئها أثرًا الجهل المركب الذي يكون في المرء ولا يدري أنه فيه ، ولا سيما إذا كان في أمور الدين ، لأن هذا النوع من الجهل يحمل صاحبه على القول في دين الله بغير علم ، فيحل ما حرم الله ويحرم ما أحل ، ومن المؤسف أن نقرر أن هناك ناسًا من مدعي العلم ينطبق عليهم هذا الوصف ، يعمدون إلى القرآن فيفسرونه بآرائهم تفسيرات منحرفة تصرف النص عن المعنى الذي أنزل الكتاب لتقريره (١) ، وقد كتب العلماء في التحذير من هؤلآء الجهلة ، من ذلك ما أورده ابن عبد البر في مواضع من كتابه « جامع بيان العلم وفضله » (٢)

والعراقي في كتابه : « الباعث على الخلاص » (٣) والسيوطي في كتابه : « تحذير الخواص » (٤) والنووي في كتابه « التبيان في آداب حملة القرآن » قال النووي :

« لقد حرم تفسيره بغير علم ، والكلام في معانيه لمن ليس من أهلها ، والأحاديث في ذلك كثيرة ، والإجماع منعقد عليه ، وأما تفسيره للعلماء - أي من قبل العلماء - فجائز حسن والإجماع منعقد عليه ، فمن كان أهلا للتفسير جامعًا للأدوات التي يعرف بها معناه ، وغلب على ظنه المراد تفسيره إن كان مما يدرك بالاجتهاد كالمعاني والأحكام الجلية والخفية والعموم والخصوص والإعراب وغير ذلك (جازلة التفسير وحسن) وإن كان مما لا يدرك بالاجتهاد كالأمور التي طريقها النقل وتفسير الألفاظ اللغـــوية فلا يجوز الكلام فيه إلا بنقل صحيح من جهة المعتمدين من أهلـــه » .

وأما من كان ليس من أهله لكونه غير جامع لأدواته فحرام عليه التفسير لكن له أن ينقل التفسير عن المعتمدين من أهله (٥) ، وقال الحافظ العراقي (٦) : « ولو نظر أحدهم في بعض التفاسير المصنفة لا يحل له النقل منها ، لأن كتب التفسير فيها الأقوال المنكرة والصحيحة ، ومن لا يميز صحيحها من منكرها لا يحل له الاعتماد على الكتب ، وأيضًا فكثير من المفسرين ضعفاء النقل كمقاتل بن سليمان والكلبي والضحاك ابن مزاحم ، وكذا كثير من التفاسير المنقولة عن ابن عباس لا تصح عنه لضعف رواتها ، وليت شعري كيف يقدم من هذه حالته على تفسير كتاب الله ؟ أحسن أحواله أن لا يعرف سقيمه من صحيحه ، بل يزيد أحدهم

فيحدث لنفسه أحوالاً لو نقلت عن المجانين لاستقبحت منهم ، وهذا أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - يقول : أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إن قلت في القرآن برأيي ، فكيف يقدم من لم يعرف ما يجب عليه مما يحرم عليه أن يتجاسر على الخوض في ذلك ، وهذا عبد الملك الأصمعي إمام اللغة سئل عن قوله -ﷺ- ، ولكن العرب تزعم أن السقي اللزيق » (٧) انتهى كلام العراقي .

وأشير بإيجاز إلى العلوم التي لابد منها للمفسر وقد بسطها العلماء في كتبهم ، يقول الإمام السيوطي - رحمه الله تعالى - (٨) : قال بعض العلماء : اختلف الناس في القرآن : هل يجوز لكل أحد الخوض فيه ؟ فقال قوم : لا يجوز لأحد أن يتعاطى تفسير شئ من القرآن ، وإن كان عالما ، أديبًا ، متسعًا في معرفة الأدلة ، الفقه ، والنحو ، والأخبار ، والآثار وليس له إلا أن ينتهي إلى ما روى عن النبي -ﷺ- في ذلك ، ومنهم من قال : يجوز تفسيره لمن كان جامعًا للعلوم التي يحتاج المفسر إليها ، وهي خمسة عشر علماً .

أحدها : اللغة ، لأن بها يعرف شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحس الوضع ، قال الإمام مالك : « لا أوتى برجل غير عالم بلغة العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالاً » .

الثاني : النحو ، لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب : فلابد من اعتباره (٩) .

الثالث : علم التصريف ، لأن به تعرف ابنيه الكلمات والصيغ .

الرابع : علم الاشتقاق ، لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين

مختلفتين اختلف المعنى باختلافهما (١٠) .

الخامس ، والسادس ، والسابع : علوم المعاني ، والبيان والبديع ، لأنه يعرف بالأول خواص تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعاني ، وبالثاني خواصها من حيث اختلافها بحسن وضوح الدلالة وخفائها ، وبالثالث وجوه تحسين الكلام ، وهذه العلوم الثلاثة هي علوم البلاغة ، وهي من أعظم أركان المفسر ، لأنه لابد له من أن يعلم ما يقتضيه الإعجاز ، وإنما يدرك بهذه العلوم .

الثامن : علم القراءات ، لأن به يعرف كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم ، وبالقراءات يترجح بعض الوجوه المحتملَة على بعض .

التاسع : علم أصول الدين ، ليعرَف وهو يفسر القرآن ما يجب لله وما يستحيل عليه ، وما يجوز له ، وليعرف الفرق بين العقائد والشرائع ، وما هو من أصول الدين وما هو من فروعه .

العاشر : علم أصول الفقه ، لأن به يعرف وجه الاستدلال على الأحكام ، وطريقة استنباطها من النصوص .

الحادي عشر : علم أسباب النزول ، وعلم القصص والأخبار ، لأن بمعرفة سبب النزول يعرف المعنى المراد من الآية ، كما أنه يزيل الإشكال عن بعضها ، ويبين بعض حكم الله في التشريع ، وبعلم القصص يعلم ما هو من الإسرائيليات التي دست في الرواية الإسلامية .

الثاني عشر : علم الناسخ والمنسوخ ، وهو مهم للمفسر ، وإلا وقع في خطأ كبير .

الثالث عشر : علم الفقه إذ به يعرف مذاهب الفقهاء ، ومن احتج منهم

بالآية ومن لم يحتج بها ، وطريقة كل منهم في فهم الآية والأخذ بها ، أو الإجابة عنها .

الرابع عشر : علم الأحاديث والسنن والآثار المبينة لتفصيل المجمل ، وتوضيح المبهم ، وتخصيص العام ، وتقييد المطلق ، إلى غير ذلك من وجوه بيان السنة للقرآن .

الخامس عشر : علم الموهبة ، وهو علم يورثه الله تعالى - من عمل بها علم ، إلى غير ذلك من العلوم التي أضافها بعض المعاصرين (١١) .

المبحث الثاني : غلبة الضعف على التفسير المأثور :

المأثور (١٢) : اسم مفعول من أثرت الحديث أثرًا من باب قتل ، نقلته ، والأثر بفتحتين : اسم منه ، وحديث مأثور أي منقول .

فالتفسير بالمأثور أي بالمنقول ، سواء أكان متواترًا أم غير متواتر ، وعلى هذا : يشمل المنقول عن الله - تبارك وتعالى - في القرآن الكريم والمنقول عن النبي -ﷺ- والمنقول عن الصحابة - رضي الله عليهم - والمنقول عن التابعين - رحمهم الله - وعلى هذه الأنواع الأربعة يدور التفسير بالمأثور .

أما تفسير القرآن بالقرآن : فهو لا غبار عليه ، ولا اعتراض ، وإنما يأتي الغلط من المفسر ، بأن يفسر الشئ بما ليس بتفسير له عند التحقيق .

وأما تفسير القرآن بما صح وثبت عن النبي -ﷺ- فهو على العين والرأس ، وليس لأحد أن يرفضه ، أو يتوقف فيه ، بعد ثبوته ، وقد صح عن الأئمة الأربعة المجتهدين في الأحكام ، أن كل واحد منهم قال : « إذا

صح الحديث فهو مذهبي ، وأضرب بقولي عرض الحائط » (١٣) وإذا كان هذا في الحلال والحرام ، فما بالك بتفسير القرآن الكريم الذي اشتمل على أصول وقواعد ، وأما الضعيف والموضوع المختلق : فأحرى به أن يرد .

وقال عبد الرحمن بن مهدي : « إن العالم إذا لم يعرف الصحيح والسقيم من الحديث لا يسمى عالماً » (١٤) .

وأما تفاسير الصحابة والتابعين ، وهي أكثر من أن تحصى : ففيها الصحيح ، والحسن ، والضعيف ، والموضوع والإسرائيليات ، التي تشتمل على خرافات بني إسرائيل وأكاذيبهم ، وقد تسربت إلى الكتب الإسلامية ، ولا سيما كتب التفسير ، وأصبحت تكون ركامًا ، غثًا مجموعًا من هنا وهناك ، سواء في ذلك ما كان خاصًا بالتفسير المأثور ، وما جمع بين المأثور وغيره ، فما كان من هذه الروايات صحيحًا أو حسنًا : أخذنا به ، وما كان ضعيفًا ، أو واهيًا أو موضوعًا ، أو من الإسرائيليات ، نبـــذناه ولا كرامة .

موقف الأئمة من ضعف التفسير بالمأثور :

وقد تنبه الأئمة المحدثون إلى هذه الظاهرة ، وهي : غلبة الضعف على الرواية بالمأثور .

روى عن الإمام أحمد بن حنبل أنه قال : « ثلاثة ليس لها أصل : التفسير والملاحم ، والمغازي » (١٥) .

وقال المحققون من أصحاب الإمام أحمد : مراده : أن الغالب أنه ليس لها أسانيد صحيحة متصلة ، وإلا فقد صح من ذلك شئ غير قليل ، وقيل : لأن الغالب عليها المراسيل (١٦) .

وروى عن الإمام الشافعي أنه قال : « لم يثبت عن ابن عباس في التفسير إلا شبيه بمائة حديث » ومهما كان في هذه الكلمة من مبالغة ، فهي تدل على كثرة ما وضع على ابن عباس ، وألصق به ، ونسب إليه زورًا .

ذكر النسائي أن أصح أسانيد ابن عباس في الحديث ما رواه الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس ، وأضعفها ما يرويه (محمد بن مروان السدي الصغير عن الكلبي،عن أبي صالح ، وهذه تسمى : « سلسلة الكذب » قال الثوري : « اتقوا الكلبي ، قال فقيل له : فإنك تروى عنه ؟ قال : أنا أعرف صدقه من كذبه » (١٧) .

ومما هو جدير بالإشارة في هذا المقام أن ابن عباس - رضي الله عنهما - لقّب بترجمان القرآن ، وقال الناس في تفسيره : « لو سمعه أهل الروم والديلم لأسلموا » إلا أن الناس تزايدوا عنه في الرواية ، ونبه العلماء على أن أوهى طرقه في التفسير هي بالدرجة الأولى سلسلة الكذب التي أشار النسائي إليها ، ثم بالدرجة الثانية طريق الضحاك بن مزاحم ، وهي منقطعة لأنه لم ير ابن عباس ، وهذا السند عن رواية جويبر البلخي عن الضحاك زاد ضعفًا أما طرقه الجيدة في التفسير فهي :

أولاً : طريق علي بن أبي طلحة الهاشمي ، وقد اعتمد البخاري هذه الطريق فيما يعلقه عن ابن عباس ، وكانت نسخة التفسير المروية عن ابن عباس بهذه الطريق عند أبي صالح كاتب الليث بمصر ، يرويها عن علي ابن أبي طلحة معاوية بن صالح ، ويرويها عن معاوية كاتب الليث ، وفيها يقول الإمام أحمد بن حنبل : « بمصر صحيفة في التفسير رواها علي بن

أبي طلحة لو رحل رجل فيها إلى مصر قاصدًا ما كان كثيرًا » (١٨) .

يظهر أن علي بن أبي طلحة لم يسمع هذه الصحيفة من ابن عباس مباشرة ، وإنما سمعها من مجاهد أو ابن جبير ، وكلاهما ثقة ، فكأن ابن طلحة أخذها عن ابن عباس نفسه (١٩) .

ثانيًا : طريق قيس عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عنه ، وهذه الطريق على شرط الشيخين ، وبها خرّج الحاكم النيسافوري عددًا من الأحاديث في « مستدركه » .

ثالثًا : طريق ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد مولى آل زيد بن ثابت عن عكرمة أو ابن جبير عنه ، وبهذه الطريق أخرج ابن جرير الطبري كثيرًا من الروايات في تفسيره (٢٠) . [يتبع]

---

(١) بحوث في أصول التفسير لأستاذنا الدكتور محمد بن لطفي الصباغ : ص/٢٤٧ . (٢) راجع : جامع بيان العلم وفضله : ج/٢ ، ص/١٩٢-١٩٩ .

(٣) راجع : الباعث على الخلاص : ص/١٤٧-١٤٨ .

(٤) راجع : تحذير الخواص : ص/٢٣٠ .

(٥) انظر : التبيان في آداب حملة القرآن ، للنووي : ص/١٠٩-١١٠ .

(٦) راجع : الباعث على الخلاص : ص/١٤٨-١٤٩ .

(٧) السقي : بفتحتين القرب وبابه طرب ، ويروي بالصاد المهملة والمعنى واحد انظر مختار الصحاح ، للرازي : ص/٣٠٢ .

(٨) راجع : الإتقان : ج/٢ ، ص/١٨٠-١٨٢ .

(٩) ومن لم يعرف النحو فربما يقع في أخطاء فاحشة ، قد تؤدي إلى الكفر ، ومثل ذلك الرجل الذي قرأ قوله تعالى : ﴿ إن الله بريئ من المشركين ورسوله ﴾ « بجر » « رسوله » فكاد يقع في الكفر وهو لا يعلم فكان هذا من الأسباب

الحاملة على وضع علم النحو ، راجع : تفسير روح المعاني للألوسي : ج/١٠ ، ص/٤٧ .

(١٠) كالسيح: أ هو من السياحة ، أو المسح ، فمن الأول يسمى المسيح مسيحًا لكثرة سياحته ، وأما من الثاني ، فلأنه كان لا يمسح على ذي عاهة إلا برأ بإذن الله تعالى - ومثل ذلك أيضًا النبي ، أ هو من النبأ بمعنى الخبر ، فهو مخبر - بكسر الباء - عن الله ، أو مخبر - بفتح الباء - منه أو هو من النبوة بمعنى الرفعة ، وليس من شك في أن المعنى يتغير بتغير أصل الاشتقاق .

(١١) كالعلم بتاريخ البشر ، وعلم السيرة ، والعلوم الكونية ، أفاد ذلك الأستاذ محمد رشيد رضا نقلاً عن الشيخ محمد عبده ، راجع : الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير : ص/٣٧ .

(١٢) راجع : المصباح المنير مادة أثر : ص/٢ .

(١٣) عرض الحائط : أي جانبه والمراد إهماله ، وعدم الأخذ به ، انظر : مختار الصحاح : ص/٤٤٦ مادة عرض .

(١٤) راجع : الأباطيل والمناكر : ص/١٢ للحافظ الجورقاني ، طبعة أولى ١٤٠٢هـ .

(١٥) راجع : الإتقان : ج/٢ ، ص/٥٠٢ .

(١٦) المرسل عند جمهور المحدثين : هو ما رواه التابعي عن النبي -ﷺ- من غير ذكر الصحابي ، وأما المرسل عند الفقهاء وبعض المحدثين فهو : ما لم يتصل إسناده على أي وجه ، سواء أكان المحذوف الصحابي أم غيره ، وسواء أكان المحذوف واحدًا من الرواة أو أكثر ، انظر : التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح : ص/٧٠-٧١-٧٢ وفتح الباقي على ألفيه العراقي : ١/٤ وقواعد التحديث : ص/١٢٢ واختصار علوم الحديث : ص/٦١ وتوضيح الأفكار : ١/٢٨٢ . (١٧) انظر : شرح علل الترمذي لابن رجب : ص/١٠٢ .

(١٨) راجع : الإتقان : ج/٢ ، ص/٥٢٢ . (١٩) المصدر السابق : بتصرف .

(٢٠) راجع « علوم الحديث ومصطلحه ، د/صبحي الصالح : ص/٢٦٨ والإتقان في علوم القرآن : ج/٢ ، ص/٥٢٤ .

الحديث الشريف وأثره على اللغة العربية

[الحلقة الأولى]

أبو الخير محمد ولي الله
الأستاذ المساعد في قسم الحديث والدراسات الإسلامية . الجامعة الإسلامية - كوشتيا

الحديث هو كل ما أثر عن الرسول -ﷺ- من قول أو فعل أو تقرير ، وقد يراد به ما أضيف إلى صحابي أو تابعي (١) ، وهو مصدر للتشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم ، إذ أن القرآن الكريم يذكر أصول الدين الإسلامي وأحكامه مجملة دون تفصيل والحديث شارحه ، وهو يشمل كل آفاق التشريع الإسلامي .

اهتم المسلمون بقول الرسول -ﷺ- وفعله وتقريره وخلقه وسيرته كل الاهتمام ، لأنه بُعث رحمة للناس وهاديًا ومتممًا لمكارم الأخلاق كما قال تعالى : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ [سورة الأحزاب ، الآية : ٢١] ، وقوله -عزوجل- : ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴾ [سورة النجم ، الآيتان : ٣-٤] ، وقد أكد الله الناس لاتباعه و إطاعته والأخذ بما أخذه وترك ما تركه ، وقال تعالى في القرآن العظيم :

١- ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾ [سورة النساء ، الآية : ٥٩] .

٢- ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ [سورة النساء ، الآية : ٨٠] .

٣- ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا .. ﴾ [سورة الحشر

الآية : ٧] .

٤- ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون ﴾ [سورة النور ، الآية : ٥٦] .

٥- ﴿ لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾ [سورة آل عمران ، الآية : ١٦٤] .

وقال الرسول الكريم -ﷺ- :

١-«تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنتي»(٢).

٢- « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ » (٣) .

٣- وكان كثيرًا ما يقول للوفود : « احفظوا أحاديثي وأخبروا بها من وراءكم من العشائر » .

٤- وقال في خطبة حجة الوداع : « ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب ، فرب مبلغ أوعى من سامع » (٤) .

٥- « نضر الله أمرًا سمع منا حديثًا فحفظه حتى يبلغه ، فرب مبلغ أحفظ من سامع » .

فهذه الآيات الكريمة والأحاديث النبوية تدل على وجوب طاعة الرسول -ﷺ- والعمل بسنته والاقتداء بهدايته ، وكل هذا دليل على الاعتداد بالسنة وعلى اعتبارها مصدرًا من مصادر التشريع الإسلامي .

فلهذا اهتم المسلمون بالحديث النبوي اهتمامًا عظيمًا وحرصوا على حفظه ونقله وتبليغه منذ الصدر الأول كما حرصوا على جمعه وتدوينه

حتى دون بعض الأحاديث في حياته (٥) ، ولكن لم تعم الكتابة والتدوين لمنعه عنها خوفًا للاحتفاظ مع كتاب الله تعالى ، وقال : « لا تكتبوا عني ، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه » (٦) ، ولما توفي الرسول -ﷺ- انتشر الصحابة في الامصار الإسلامية وأخذوا يبلغون كتاب الله وسنة رسوله أينما ذهبوا ، وكادوا لا يتركون صغيرة ولا كبيرة من أفعاله وأقواله إلا أحصوهـا و تناقلوها و اشتهر من بينهم جماعة بكثرة الرواية (٧) مثل أبي هريرة وعائشة وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو وابن عباس وأنس بن مالك - رضي الله عنهم - وكثير غيرهم ، وخلفهم التابعون يحكون ما سمعوه منهم وبذلك ينتقل الحديث من جيل إلى جيل ، ومن ثم تكوّن سند الحديث وتكونت السلاسل الطويلة من رواته ، وبذلك تعددت طرق رواية الحديث كما تعدد حاملوه ، وأصبح يحتوي متنا وسندًا يطول .

ارتحل الرسول -ﷺ- إلى الرفيق الأعلى بعد أن عم الإسلام الجزيرة العرب كلها واتسعت الفتوحات الإسلامية (٨) ، وكلما دخل المسلمون بلدًا أقاموا فيه المساجد وعلموا أبناءه القرآن الكريم وسنة رسوله ، وهكذا حفظوا السنة الشريفة ، فأصبحت في الأقاليم والأمصار الإسلامية مراكز علمية عظيمة ، ومراكز السنة النبوية ، ومنها المدينة المنورة ومكة المكرمة والكوفة والبصرة والشام ومصر والمغرب والأندلس واليمن وجرجان وقزوين وخراسان (٩) .

واشتهر كتابة السنة وتدوينها في عهد عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١) حينما أعلن إعلانًا هامًا وقال : « انظروا حديث رسول الله -ﷺ-

فاكتبوه فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء » (١٠) ، وكان أبو جعفر المنصور (١٢٦-١٥٨) أول من عني بتدوين الحديث بعد عمر بن عبد العزيز مخافة ذهابه بموت أصحابه ، فأمر مالك بن أنس بوضع المؤطأ فوضعه جامعًا بين الحديث والفقه (١١) .

ثم تبارى العلماء في تحصيل الحديث توسعًا في الفقه ، فراجت بضاعته وكثر أشياع الفرق واتباع الضلالة ، فتقوّلوا على الرسول وأدخلوا زور الحديث على إغفال الرواة ، فكثرت المفتريات فشغل أئمة الحديث بالنقد والتمحيص والرواة بالجرح والتعديل ، وكان أسبقهم إلى ذلك إسحاق بن راهويه (٢٢٨هـ) (١٢) ، وقد جمع شيخ الحديث أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (١٩٤-٢٥٦هـ) (١٣) ، وإمام السنة أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (١٤) (٢٠٦-٢٦١هـ) صحاح الحديث في كتابيهما ، ثم دون بعدهما أربعة كتب الأحاديث في عصر واحد ، تمت بها الصحاح الستة ، والكتب البواقي من الصحاح الستة : الجامع لأبي عيسى الترمذي (٢٧٩هـ) (١٥) والسنن لأبي داؤد السجستاني (٢٧٥هـ) (١٦) والسنن لأبي عبد الرحمن النسائي (٣٠٣هـ) (١٧) والسنن لأبي عبد الله بن ماجة (٢٧٣هـ) (١٨) ، وقد أطبق الناس على صحة هذه الكتب فشغلوا بها ما بين جمع وشرح وتلخيص (١٩) ، فتضافرت الحوافظ والأقلام من أجل حفظه كما تضافرت جهود المسلمين وعلمائهم في سبيل خدمته وصيانته فنشأت حول حديث الرسول -ﷺ- علوم كثيرة لم يحفظ علم من العلوم مثل ذلك ، فنشأ علم غريب الحديث وعلم ناسخ الحديث ومنسوخه وعلم علل الحديث وعلم مختلف الحديث ومشكله وعلم

تاريخ الرواة وعلم الجرح والتعديل وعلم أصول الحديث وعلم أسباب ورود الحديث وغيرها من العلوم التي خدمت السنة النبوية وتكلفت بيانها (٢٠) ، ونشرت التصنيفات المخالفة والكتب القيمة حول هؤلآء العلوم حتى أصبح كل علم من العلوم علماً مستقلاً ، ومن أشهر ما صنف من علوم الحديث ومصطلحه (٢١) .

١- معرفة علوم الحديث لأبي عبد الله محمد بن عبد الله النيسافوري الحاكم (٣٢١-٤٠٥هـ) .

٢- سنن التحديث لأبي الفضل صالح بن أحمد التميمي الهمداني (٣٨٤-٤٥٤هـ) قد ذكر فيه اثنين وخمسين نوعًا من أنواع علوم الحديث ، ولكنه لم يرتب ولم يهذب (٢٢) .

٣- الكفاية في علم الرواية لأبي بكر أحمد بن علي البغدادي المعروف بخطيب البغدادي (٣٩٢-٤٦٢هـ) ، وهو أجمع كتاب في فنه ، طبع سنة ١٣٢٥هـ بالهند ، وصنف في آداب الرواية كتاب الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، وهو أجمع وأقدم في آداب السماع والرواية وما يتعلق بهـا (٢٣) .

٤- الالماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع للحافظ أبي الفضل عياض بن موسى (٤٧٦-٥٤٤هـ) (٢٤) ، كما صنف المحدث أبو حفص عمر بن عبد المجيد النبانشي (٥٨٠هـ) جزءًا سماه : « ما لا يسع المحدث جهله » توجد منه عدة نسخ مخطوطة ، وهكذا كتب كثيرة في هذا الموضوع ، منها « مقدمة ابن الصلاح (٢٥) » و « فتح المغيث بشرح ألفية الحديث » و « تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي » و « توضيح

الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار » و « قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث » و « كتاب توجيه النظر إلى أصول الأثر » للشيخ طاهر الجزائري (١٢٦٨-١٣٣٨هـ) وهو كتاب قيم عرض فيه علوم الحديث عرضًا دقيقًا (٢٦) .

وقد صنف في الصحابة - رضوان عليهم أجمعين - نحو أربعين مؤلفًا وأشهر ما صنف فيهم :

١- كتاب معرفة من نزل من الصحابة سائر البلدان - خمسة أجزاء ، للإمام علي بن عبد الله المدني (١٦١-٢٣٤هـ) .

٢- الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عمر يوسف بن عبد الله القرطبي (٣٦٨-٤٦٣هـ) ، طبع مرارًا في مصر والهند ، وفيه (٤٢٢٥) ترجمة من الصحابي والصحابية .

٣- أسد الغابة في معرفة الصحابة ، خمس مجلدات ، للمؤرخ عز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن الأثير (٥٥-٦٢٠هـ) طبع في مصر ، وفيه ٧٥٥٤ ترجمة .

٤- تجريد أسماء الصحابة ، جزءان للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد ابن أحمد الذهبي (٦٧٣-٧٤٨هـ) وقد طبع بالهند سنة ١٣١٠هـ .

٥- الاصابة في تمييز الصحابة لشهاب الدين أحمد بن علي الكناني ابن حجر العسقلاني (٧٧٣-٨٥٢هـ) ، قد طبع أكثر من مرة في مصر والهند ، وفيـه ١٩٤٧٧ من الأسمـاء،و ١٢٦٨ كنية للصحابة و ١٥٥٢ ترجمة للصحابيات (٢٧) .

وعلم تاريخ الرواة هو العلم الذي يعرف برواة الحديث من الناحية التي

تتعلق بروايتهم للحديث ، فهو يتناول بالبيان أحوال الرواة وتاريخ ميلاد الراوي ورحلات الراوي وتاريخ قدومه إلى البلدان المختلفة . وكان من آثار هذا النشاط العلمي أن اجتمعت لدى العلماء ثروة كبيرة من تراجم الرواة وأخبارهم فصنفوا في الصحابة وأحوالهم وأخبارهم ومشاهدهم وقبائلهم فمنهم من صنف على الطبقات :

١ - الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد (١٦٨-٢٢٠هـ) (٢٨) .

٢ - طبقات الرواة لخليفة بن خياط العصفري (٢٤٠هـ) (٢٩) ، ومنهم من صنف تاريخ الرواة على حروف المعجم ، ومن أقدم ما وصلنا من هذا النوع « التاريخ الكبير » لمحمد بن إسماعيل البخاري (٣٠) .

ومن أجمع كتب تراجم رواة الحديث كتاب : « تهذيب التهذيب » لابن حجر العسقلاني (٣١) ، ثم لخص في كتاب سماه : « تقريب التهذيب » في أسماء الرجال في مجلدين ، قد طبع عدة مرات وآخرها في القاهرة سنة ١٢٨٠هـ - هذا سوى ما صنفوا على البلدان ، ومن أقدم هذه الكتب تاريخ نيسافور للإمام محمد بن عبد الله النيسافوري (٣٢١-٤-٥هـ) وهو من أعظم التواريخ ، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٣٩٢-٤٢٢هـ) وهو من أجل الكتب وأغزرها فائدة (٣٢) ، و « تاريخ دمشق » في ثمانين مجلدًا أو أكثر ، للحافظ علي بن الحسين بن عساكر الدمشقي (٤٩٩-٥٧١هـ) وهو كتاب عظيم جامع (٣٣) .

وهكذا صنفوا في أسماء الرواة وكناهم وألقابهم وأنسابهم فمن أقدم ما صنف في الأسماء والكنى « كتاب الأسامى والكنى » لعلي بن عبد الله المديني (١٦١-٢٣٤هـ) ، و « كتاب الكنى والأسماء » لأبي البشر محمد بن

أحمد الدولابي (٢٢٤-٣٢٠هـ) . والإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء والكنى والأنساب لابن ماكولا البغدادي (٤٢١-٤٨٦هـ) ، ومن أجمع ما صنف في المشتبه من أسماء الرواة كتاب المشتبه في أسماء الرجال للحافظ الذهبي (٦٨٢-٧٤٨هـ) ، ومن أجمع ما صنف في ألقـــاب الرواة نزهة الألباب في الألقاب » لابن حجر العسقلاني (٧٧٣-٨٥٢هـ).

ومن أشهر ما صنف في الأنساب لتاج الإسلام عبد الكريم بن محمد السمعاني (٥٠٦-٥٦٢هـ) ، قد رتب على حروف المعجم (٣٤) ، وكتاب اللباب في ثلاثة مجلدات لعلي بن محمد الشيباني الجـزري (٥٥٥-٦٣٠هـ) (٣٥) لخص السيوطي كتاب اللباب في كتاب سماه : « لب اللباب في تحرير الأنساب » طبع في ليدن سنة ١٨٥٠م ، والمصنفات في تاريخ الرواة كثيرة تزخر بها مكتبات العالم .

وتختلف مؤلفات الجرح والتعديل ما بين موجز ومبسوط ، فأصغرها ما يضم في مجلد على أحوال مئات من الرجال وأوسعها ما يقع في مجلدات كبيرة تضم أحوال عشرة آلاف راو أو عشرين ألفًا ، ومن أقدم ما وصلنا من هذه المصنفات كتاب : « معرفة الرجال » ليحيى بن معين (٣٦) و « كتاب الضعفاء » للإمام البخاري - رحمه الله تعالى - ، طبع بالهند سنة ١٣٢٥هـ ، و « كتاب الضعفاء والمتروكين » للإمام أحمد بن شعيب النسائي (٢١٥-٣٠٢هـ) .

وأجمع كتاب المتقدمين في هذا الباب « كتاب الجرح والتعديل » لعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (٢٤٠-٣٢٧هـ) (٣٧) و « كتاب الثقات » لأبي

حاتم بن حبان (٢٥٤هـ) ، والكامل في معرفة ضعفاء المحدثين ، وعلل الحديث للحافظ عبد الله بن محمد الجرجاني (٢٧٧-٣٦٥هـ) ، و « كتاب ميزان الاعتدال » لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (٦٧٣-٧٤٨هـ) (٣٨) ، و كتاب « لسان الميزان » لابن حجر العسقلاني (٣٩) .

والحديث الموضوع هو ما نسب إلى الرسول -ﷺ- اختلاقًا وكذبًا بما لم يقله أو يفعله أو يقره ، تتجلى بها ثمرة الجهود العظيمة التي بذلها العلماء من أجل حفظ الحديث وتخليصه من الموضوع في الكتب القيمة التي صنفها الأئمة والأعلام في أسماء الصحابة ، وفي تواريخ الرجال وأحوالهم وفي طبقات الرواة ، وفي معرفة الأسماء و الكنى والألقاب والأنساب وفي الجرح والتعديل ، وفي الوضاعين والموضوعات ، وتبلغ نحو أربعين مؤلفًا ومن أشهرها (٤٠) :

١- تذكرة الموضوعات لأبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي (٤٤٨-٥٠٧هـ) رتبه على حروف المعجم ، ويذكر من جرح راويه من الأئمة ، طبع بمصر سنة ١٣٢٣هـ .

٢- الموضوعات الكبرى لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (٥٠٨-٥٩٧هـ) أربع مجلدات وقد تساهل في الحكم على بعض تلك المرويات بالوضع .

٣- الباعث من الخلاص من حوادث القصاص ، للحافظ زين الدين عبد الرحيم العراقي (٧٢٥-٨٠٦هـ) ، وقد لخصه السيوطي في كتابه ، تحذير الخواص من أكاذيب القصاص .

٤- اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للحافظ جلال الدين السيوطي

(٨٤٩-٩١١هـ) طبع بمصر أكثر من مرة .

٥- تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة ، لأبي الحسن علي بن محمد الكناني (٩٦٣هـ) طبع بمصر سنة ١٢٧٨هـ في مجلدين .

٦- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ، للقاضي أبي عبد الله محمد بن علي الشوكاني (١١٧٢-١٢٥٥هـ) قد طبع سنة ١٢٨٠هـ بمصر .

ومن أشهر مؤلفات علم غريب الحديث « الفائق في غريب الحديث » لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (٤٦٧-٥٢٨هـ) ، قد طبع الكتاب أكثر من مرة في حيدرآباد وفي مصر ، و « كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر » لابن الأثير الجزري (٤١) ٦٠٦هـ ، وهكذا كتب كثيرة قيمة نشرت في الحديث وعلومه وشروحه وفروعه حتى أصبحت ثروة عظيمة مفيدة للإسلام والمسلمين وأثرت هذه الكتب المدونة أثرًا عظيمًا على اللغة العربية قراءة ودراسة ولهجة وكتابة .

وتأثير الحديث الشريف على اللغة العربية صريحة كثيرة لا يحصى عددها ونذكر هنا من أهمها بالتالي :

١- إنه مفسر للقرآن الكريم ومادة غزيرة لشرحه وحفظه وبقائه ، وهو يوضح أشكاله ، ويفصل إجماله ، ويقيد إطلاقه ، ويخصص عمومه ، ومنه نشأ كتاب التفسير وأبواب التفسير وتطورت كتب التفاسير .

٢- ومنه يوسع المادة اللغوية بما أشاع من ألفاظ دينية وفقهية لم تكن تستخدم من قبل هذا الاستخدام الخاص .

٣- وقد أقبل العلماء في مختلف الأمصار الإسلامية وعلى تعاقب الأعصار يدرسونه ، ويحفظونه ويشرحونه ويستنبطونه (٤٢) .

٤- ومنه نشأت علوم الحديث ومصطلحه ، وأُلفت الكتب القيمة وصُنّفت التصانيف والمؤلفات باللغة العربية التي أثرت عليها أثرًا مؤزرًا .

٥- ومنه نشأت الكتابة التاريخية لا في السيرة النبوية فحسب بل في الغزوات ، وتراجم الصحابة والتابعين والحفاظ والرواة والمحدثين ، ومما لا ريب فيه أن المسلمين أشد الأمم عناية بتواريخ رجالهم على نحو ما نعرف ، مثل طبقات ابن سعد وأسد الغابة والإصابة والاستيعاب وميزان الاعتدال ، فقد فتح ذلك باب الكتابة التاريخية وهيأ لظهور كتب الطبقات مما بعث على نهضة علمية رائعة (٤٣) .

٦- هو خزانة ثمينة قد استمد المتأدبون من هذا الكنز في رسائلهم وأشعارهم ومنثوراتهم وأمثالهم وحكمهم ، ما أضاف إليه على مر العصور رونقًا وطلاوة وما يزال هذا شأنهم إلى اليوم . [يتبع]

---

(١) الدكتور محمد عجاج الخطيب : أصول الحديث علومه ومصطلحه ، دار الفكر ، الطبعة الرابعة ، القاهرة سنة ١٤٠١هـ-١٩٨١م : ص/١٩ .

(٢) أخرجه الإمام مالك بن أنس ، المؤطأ ، طبع عيسى البابي الحلبي سنة ١٢٧٠هـ الجزء الثاني : ص/٨٨٩ .

(٣) الإمام أبو داؤد سليمان بن الأشعث السجستاني : سنن أبي داؤد ، طبع مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٢٧١هـ : ج/٢ ، ص/٢٧١ .

(٤) عبد الملك بن هشام : سيرة النبي -ﷺ- ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية بالقاهرة ١٢٥٦هـ-١٩٢٧م : ج/٤ ، ص/٢٧ .

(٥) عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه استأذن رسول الله -ﷺ- أن يكتب ما

يسمع من حديث ، فأذن له ، وكان يسمى صحيفته التي كتبها عن الرسول « الصادقة » .

(٦) أصول الحديث وعلومه ومصطلحه : ص/١٤٧ .

(٧) أكثر الصحابة رواية عن الرسول -ﷺ- سبعة وعدة ما رواهم أبو هريرة (٥٩هـ) ٥٢٧٤ حديثًا ، وعن عائشة ٢٢١٠ حديثًا ، وعبد الله بن عمر ٢٦٣٠ حديثًا ، وعبد الله بن عباس ١٦٦٠ حديثًا ، وأنس بن مالك ٢٢٨٦ حديثًا ، وجابر ابن عبد الله ١٥٤٠ حديثًا ، وأبو سعيد الخدري ١١٧٠ حديثًا ، أصول الحديث علومه ومصطلحه : ص/٤٠٤-٤٠٥ .

(٨) فتحت بلاد الشام (فلسطين والأردن وسوريا ولبنان) والعراق في سنة ١٧هـ ومصر ٢٠هـ ، و وصل المسلمون إلى ما وراء النهر في خلافة عثمان - رضي الله عنه - بعد أن فتحوا فارس سنة ٢١هـ ، و وصلوا سمرقند سنة ٥٦هـ ، و وصلوا في ربوع الأندلس سنة ٧٢هـ ، وارتفعوا على ذرا جبال البرانس سنة ٩٦هـ و وصلوا إلى حدود الصين في نفس السنة .

(٩) أصول الحديث وعلومه ومصطلحه : ص/١١٦ .

(١٠) وفي رواية « فاني خفت دروس العلم وذهاب العلماء ولا تقبل إلا حديث النبي -ﷺ- وليفشوا العلم وليجلسوا حتى يعلم من لا يعلم ، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرًا » فتح الباري : ج/١ ، ص/٢٠٤ ، وأول من دون هو ابن شهاب الزهري (١٢٤هـ) .

(١١) أحمد حسن الزيات : تاريخ الأدب العربي - الطبعة الرابعة والعشرون - ص/٢٧٨ .

(١٢) المرجع السابق : ص/٢٧٨ ، هو أبو يعقوب إسحاق بن ابراهيم راهوية التميمي الحنظلي المفسر المحدث ، توفي سنة ٢٢٨هـ .

(١٣) ولد ببخارى من سلالة فارسية سنة ١٩٤هـ ومات في خرتنك ، قرية من قرى سمرقند سنة ٢٥٦هـ واستخرج كتابه الجامع الصحيح من ستمائة ألف حديث في ست عشرة سنة جمع فيه تسعة آلاف حديث مع التكرار ، وقال : إني

جعلته حجة بيني وبين الله . فأجمع علماء السنة على أنه لم يكن فيها أصح منه .

(١٤) وجمع صحيحه من ثلاثمائة ألف حديث وهو ثاني صحيح البخاري في الصحة والمكانة .

(١٥) هو أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي المتوفى سنة ٢٧٩هـ وترمذ مدينة على جيحون .

(١٦) هو أبو داؤد سليمان بن الأشعث السجستاني المتوفى سنة ٢٧٥هـ . وسجستان الاقليم الشمالي من بلوچستان .

(١٧) هو أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي المتوفى سنة ٣٠٢هـ . ونسأ بفتح النون وفتح السين وبعدها همزة . مدينة بخراسان .

(١٨) هو أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة المتوفى سنة ٢٧٢هـ . الشيخ أحمد الاسكندري والشيخ مصطفى عناني - الوسيط في الأدب العربي وتاريخه . المطبعة السلفية بمصر ١٣٤٢هـ-١٩٢٤م .

(١٩) أشار إليه تفصيلاً فؤاد سزكين في كتابه : تاريخ التراث العربي في علوم القرآن والحديث . المجلد الأول . الجزء الأول . وزارة التعليم العالي . المملكة العربية السعودية ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م .

(٢٠) أصول الحديث وعلومه ومصطلحه : ص/٢٢٥ .

(٢١) المرجع السابق : ص/٢٢٦ .

(٢٢) طبع هذا الكتاب في مجلد وسط بتحقيق الدكتور معظم حسين سنة ١٣٧٠هـ بالقاهرة .

(٢٣) أصول الحديث وعلومه ومصطلحه : ص/٤٥٥ .

(٢٤) طبع سنة ١٣٨٩هـ-١٩٧٠م بمصر بتحقيق السيد أحمد صقر .

(٢٥) طبعت أخيرًا بتحقيق الدكتور نور الدين عتر سنة ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م في مطبعة الأصيل بحلب . ونشرتها المكتبة العلمية بالمدينة المنورة .

(٢٦) انظر تفصيلاً أصول الحديث علومه ومصطلحه : ص/٤٥٠ .

(٢٧) المرجع السابق : ص/٤٠٩ .

(٢٨) طبع هذا الكتاب في أربعة عشر مجلدا في ليدن سنة ١٣٢٢هـ كما طبع في بيروت .

(٢٩) توجد نسخة مخطوطة في دار الكتب الظاهرية بدمشق ونسخة منقولة عنها في خزانة دار الكتب المصرية .

(٣٠) فيه نحو أربعين ألف ترجمة . وقد طبع في ثمان مجلدات في حيدرآباد سنة ١٣٦١-١٣٦٢هـ .

(٣١) قد طبع بالهند سنة ١٣٢٥-١٣٢٧هـ في اثنى عشر مجلدا .

(٣٢) قد طبع بالقاهرة سنة ١٣٤٩هـ في أربعة عشر جزءًا تضم ٧٨٢١ ترجمة .

(٣٣) أصول الحديث وعلومه ومصطلحه : ص/٢٥٦ .

(٣٤) طبع سنة ١٩١٢م بمدينة ليدن .

(٣٥) قد طبع في ثلاثة أجزاء بمصر سنة ١٣٥٦-١٣٥٩هـ .

(٣٦) يوجد منه الجزء الأول مخطوطًا في دار الكتب الظاهرية في ٤٢ ورقة .

(٣٧) في أربعة أجزاء كبيرة . ضمت ١٨٠٥٠ ترجمة . وقد طبع بالهند سنة ١٢٧٢هـ في تسع مجلدات .

(٣٨) طبع أكثر من مرة . وطبع أخيرًا في مصر سنة ١٩٦٢م في أربعة أجزاء ضمت ١١٠٥٢ ترجمة .

(٣٩) وفيه نحو ١٤٢٤٣ ترجمة . وطبع بالهند سنة ١٣٢٩-١٣٣١هـ في ستة أجزاء .

(٤٠) أصول الحديث وعلومه ومصطلحه : ص/٤٢٧ .

(٤١) وكتاب النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير الجزري (٥٤٤-٦٠٦هـ) في هذا الباب . وطبع أخيرًا من دار إحياء الكتب العربية سنة ١٣٧٢هـ-١٩٦٣م بتحقيق الأستاذ طاهر أحمد الرازي ومحمود محمد الطناحي .

(٤٢) انظر للتفصيل : تاريخ التراث العربي في علوم القرآن والحديث - المجلد الأول .

(٤٣) الدكتور شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي . العصر الإسلامي . الطبعة الحادية عشرة دار المعارف : ص/٤١ .

دراسات أدبيـــــة :

مجتمع الجاحظ كما يصور أدبه

[الحلقة الرابعة]

بقلم : الأستاذ عبد الخالق الأعظمي الندوي

الحياة العقلية في عصره :

لقد مرّ بنا قبل قليل أن عصر الجاحظ قد امتاز بالمنافسة في الترف وتشييد القصور ، وبشيوع الغناء واللهو ، والفجر والمجون بين مختلف الطبقات ، فليس يعني هذا ، أنه كان طابعًا للحياة بأكمل جوانبها بل إنما كان هذا العصر من أزهى عصور العلمَ في البلاد الإسلامية حيث تلاقت شتى الثقافات التي تمثل حضارات الأمم العريقة في العلم والثقافة « فأخذ الخلفاء يشجعون الحركة العلمية في شتى جوانبها ويضفون عليها ظلال رعايتهم وكانوا يبالغون في إكرام الأدباء والعلماء ويجالسونهم ويقربونهم إليهم ، وصار العلم والأدب وسيلة إلى المناصب العالية ، والنفوذ والجاه ، وكان كل من نبغ في العلم ، أو شهر بالأدب ترفع منزلته ، ويتنافس العظماء في تكريمه ، كما يتنافسون في إنشاء دور العلم ، وترجمة الكتب إلى العربية من مختلف اللغات (١) » .

فقد نشطت حركة التعليم في هذا العصر « ولم يكن الخلفاء العباسيون و وزراؤهم وحدهم الذين عملوا على تنشيط العلم وإعطاء الرواتب الجزيلة للقضاة والعلماء من كل صنف ، فقد كان يشركهم في ذلك حكام الولايات ، وفي مقدمتهم أسرة الصفارين حكام سجستان ، إذ نرى أبا عبد الله السيد شنجي شيخ أهل الحديث بنيسافور المتوفى سنة ٢٩٠هـ يذكر

أنه أخذ من تلك الأسرة سبعمائة ألف درهم (٢) » .

« وكان من أهم ما عمل على إشعال الجذوة العلمية وإمدادها بوقود جزل لا ينفد ، مناظرات العلماء في المساجد وقصور الخلفاء والوزراء في الكلام والفقه وفي اللغة والنحو وغير ذلك من العلوم التي كان يشتد فيها الخلاف والجدل ، وكان الشباب يختلف في المساجد إلى هذه المناظرات ، ليتعلم قرع الحجة بالحجة وغلبة الخصم بالحق وبالباطل أحيانًا (٣) .

هذا الشغف المفرط بالعلم لم يكن مقصورًا على الطبقات الخاصة من العلماء ومن يبتغون من الطلاب أن يكونوا على شاكلة أساتذتهم المتخصصين ، بل كان خطًا مشتركًا بين طبقات العامة .

يقول الدكتور شوقي ضيف : « لم تكن هناك مراحل التعليم مثلنا اليوم ، بل كان الكتاب يحل محل تعليمنا الابتدائي والإعدادي ، ومن يريد أن يكمل تعلمه بعده يختلف إلى حلقات المساجد ، وكانت أشبه بمعاهد عليا ، فلم تكن فقط دورًا للعبادة ، بل كانت أيضًا دورًا ، بل قل : جامعات ، للعلم والعلماء ، إذ كان لكل عالم في كل فرع من فروع العلم حلقة كبرى » (٤) .

هذا وقد كانت الطريقة الشائعة في المحاضرات ، وخاصة محاضرات المتكلمين والمحدثين واللغويين هي الإملاء ، ويعرض السيوطي لإملاء اللغويين حينئذ ، فيقول (٥) : « أملى ثعلب مجالس عديدة في مجلد ضخم (٦) » وأملى ابن دريد مجالس كثيرة ، وأملى أبو محمد القاسم بن الأنباري و ولده أبو بكر ما لا يحصى ، وطريقهم في الإملاء كطريقة المحدثين سواء ، غير أن المحدثين يراجعون ما كتبه تلاميذهم .

هكذا شقت الحركة العلمية طريقها إلى الأمام فنبغ عظماء في جميع العلوم الدينية والدنيوية ، « و في هذا الدور نبغ أئمة المذاهب الأربعة التي وقع الاكتفاء بها عند أهل السنة ، ودوّن مذهب مالك وأبي حنيفة و غيرهما ، وتم تدوين الحديث وتدوين اللغة والشعر ، وكثر عظماء القراء ، وزاد عدد النقلة من الفارسية والسريانية واليونانية ، وراجت الوراقة رواجًا عظيمًا ، لما بدأ الملوك يجمعون خزائن كتب في قصورهم ، ويقيمون دور الحكمة في عاصمة الخلافة ، وعلق الأمراء وعلية الأمة يتنافسون في اقتفاء آثار خلفائهم في خدمة الآداب ، يحظون ويعطون كل من ينقل لهم ضربًا جديدًا من المعارف ، وبعد أن كانت البصرة والكوفة مستأثرتين بالحركة العلمية ، شاركتهما بغداد بهذا الشرف ، ثم أربت عليهما منذ وافاها أهل الفضل من الأمصار ، فما هي إلا أعوام قليلة حتى أصبحت بغداد مدينة علم ، وكانت من قبل مدينة ملك ، بما نقل من صنوف العلم إلى الخلفاء وأتباعهم » .

« وأيقن أرباب البصائر أن الدنيا لا تأتي من غير طريق الكفاية ، وأن (كل عزّ لم يؤكد بعلم فإلى ذلّ يؤول) فانكبوا على التأدب ، وحرص أرباب اليسار على تثقيف أبنائهم ، وكان إذا تفرس رب البيت في ولده ذكاء جاء بالمؤدبين يلقنونه ما تشتهي نفسه من الآداب ، ولذا أصبح التعليم صناعة ، وحسن عيش المؤدبين ، وغدا التأديب أيضًا طريقًا إلى المجد والسؤدد ، على ما أمست منادمة الملوك والأمراء صناعة برأسها ، وقد يبلغ سلطان النديم في قصور العظماء ما لا يبلغه سلطان الوزراء والكتاب ، وهو ابن الخلوة والجلوة ، والمؤتمن على الحرم والأسرار » .

« عمرت مجالس العلم والأدب ، وأمست دور الكبراء مثابة المغنين والإخصائيين ، يغشاها أرباب الأفكار ، وحملة الآثار والأشعار ، والعهد بعلماء البصرة يختلفون إلى المسجد والمربد ، وكان المسجديون (٧) والمربديون جماعًا من شعب الأدب والرواية ، والعهد بالكوفة يختلف المنورون من بيتها إلى الكناسة مجمع الشعراء والأدباء ، ومسجدهم مجمع علمائهم ، ومغنى قرائهم ، والمنافسة بين المصرين ، الكوفة والبصرة ، في الفقه والحديث واللغة والنحو والتصريف مشهورة مذكورة ، وبغداد تنعقد مجالسها ، وتغص مساجدها بأرباب العقول وحفدة الشريعة ، وقادة الفكر ، وشعراء الحضارة ، وأمراء البلاغة (٨) .

وبالإضافة إلى ذلك تلوّن هذا العصر بثقافات مختلفة ، كما حلت في البداية ثقافة فارسية ، ويونانية ، وهندية ، دخلت هذه الثقافات على الفكر الإسلامي بامتزاج العرب بهم ، فكان لهذه الثقافات أثر كبير في تغذية العقلية العربية وبناء الفكر الإسلامي ، ولكن مع ذلك كله كانت الثقافة الإسلامية هي الذائعة ، وهي أساس التكوين العقلي للطالب العربي في عصرالجاحظ ، وقوامها علوم الدين ، واللغة والأدب ، وما يتصل بكل ذلك من علوم ومعارف ، ولها أكبر الأثر في الفكر الإسلامي في عصر الجاحظ ، كما كانت المورد العذب للناس جميعًا (٩) .

وتلك هي معالم الحياة العقلية في عصر الجاحظ باختصار ، بما فيها من مؤثرات وتأثيرات ، وبما اشتملت عليه من تطورات ونهضات ، وكان الجاحظ يعيش في قمة هذا الطود الشامخ من الثقافات ، يدرس هذه البيئات الثقافية ، مصورًا ومؤرخًا ، يحيا ويراقب ، يختبر وينظر ،

يمتزج وينعزل ، وكان العصر كله مصورًا في نفسه وكتبه ، تتجلى فيه ، وفيها العديد من النزعات والثقافات ، فكان بذلك علماً من أكبر أعلام الفكر العربي ، في عصره وبعد عصره على السواء .

الحياة الأدبية في عصره :

مرّ بنا في الصفحات السابقة أن الحياة الاجتماعية والعقلية قد انصهرت في بوتقة الثقافات المنتشرة في هذا العصر وصبغتهما بأصباغ جديدة ولكن أثرها في الأدب واللغة كان متفاوتًا ، وظلت مناهج الأداء والأساليب ولغة الكتابة والشعر قريبة ، مما كانت عليه من قبل ، من حيث نضجت معاني الكتاب وأخيلة الشعراء .

ولجري الكتاب على سنة القدماء في الرشاقة والجزالة أسباب (١٠) :

أولاً : حمل الخلفاء وإعجابهم بمن يجرى على طريقة القدماء كما قال المأمون يومًا : « ما أعجب الكلام أحد كاعجابي بكتاب القاسم بن عيسى (أبي دلف) فإنه يوجز في غير عجز ، ويصيب مفاصل الكلام ، ولا تدعوه المقدرة إلى إطناب ، ولا تميل به الغزارة إلى الاسهاب ، يجلى عن مراده في كتبه ، ويصيب المغزى في ألفاظه (١١) » .

ثانيًا : رفع الخلفاء إلى مقام الوزارة من يجرى على سنة القدماء كما « رفع المأمون إلى مقام الوزارة كلاً من عمرو بن مسعدة وأحمد بن يوسف الكاتب لـــا أعجب به من توخيهما الإيجاز في الرسائل على طريقة القدماء (١٢) » .

ثالثًا : نصائح الكتاب للأدباء كما نصح جعفر بن يحيى عند ما رأي بعض الكاتبين قد تفنن في إرسال الكلام ، وأوغل في الصنعة والتثقيف ، حتى

أوشك البيان أن يصاب بما يخرجه عن رونق القديم فقال (١٢) : « إن استطعتم أن تكون كتبكم توقيعات فافعلوا » .

رابعًا : هذا يترتب على حمل الخلفاء وإعجابهم بمن يسير على خط القدماء وهو ميلان الأدباء والكتاب إليه .

هذا وقد زخر الأدب في عصر الجاحظ بما ترجم من فلسفة اليونان ومنطقهم ، وبما ترجم من قصص الهند وأدب الفرس ، فصبغت هذه الأشياء عقلية الأدباء والشعراء بآثارها العميقة في التفكير والمعاني وطرافة التقسيم والخيال ، فانتبح الأدباء أدبًا عربيًا فيه معاني الفرس وبلاغة العرب .

وكذلك يمتاز أدب هذا العصر بظهور الحياة العقلية فيه والحياة الاجتماعية وبظهور كثرة الحكم والقصص فيه وبظهور المؤلفات الجامعة ، كالبيان والحيوان ، وأمثالهما أدب الكاتب ، والكامل ، وما إلى ذلك (١٤) .

وقد ظهرت في أدب هذا العصر نزعة شعوبية تزرى على العرب بتلمس المثالب لهم وتسجل ذلك في الشعر ، أمثال بشار والحزيمي وأبي نواس ، وفي الكتب يضعها أمثال أبي عبيدة والهيثم بن عدي وسعيد بن حميد ، وعلان الشعوبي ، وانبرى لهؤلآء من الشعراء والعلماء من يرد عليهم ويدفع عن العرب وينتصر لهم كالجاحظ وابن قتيبة ومحمد بن يزيد الأموي (١٥).

وتلك هي بعض ملامح الحياة الأدبية في عصر الجاحظ باختصار ، بما فيها من تأثير الحضارة في أدب الكتاب وشعر الشعراء ، واحتلال الكتابة ، وخاصة كتابة الرسائل منزلة مرموقة ، وفتح أبواب البديع ، ولكن الجاحظ لم يتأثر بهذه المؤثرات بل إنما ترك أثرًا عميقًا في النثر الأدبي ،

فأسلوبه إيجاز وتطويل بحسب الحال (١٦) .

---

(١) انظر « أبو عثمان الجاحظ للدكتور خفاجي : ص/٢٠ .
(٢) العصر العباسي الثاني للدكتور شوقي ضيف : ص/١١٩ وما بعدها .
(٣) العصر العباسي الثاني للدكتور شوقي ضيف ص/١٢٢ .
(٤) نفس المصدر : ص/١١٧ وما بعدها .
(٥) الزهر للسيوطي : ج/٢ ، ص/٢١٢ مطبعة الحلبي .
(٦) هذه تمثل المدرسة الكوفية في النحو كما أن هناك كتابًا آخر يمثلها وهو « معاني القرآن الكريم » للفرّاء .
(٧) أمراء البيان للأستاذ محمد كرد علي : ص/٢٨٢-٢٨٣ .
(٨) لقد ذكرهم الجاحظ في كتاب البخلاء من منظور خاص وهو البخل : ١/٦٢ .
(٩) من يريد التفصيل فليراجع ضحى الإسلام للأستاذ أحمد أمين ، جزءه الثاني وأدب المعتزلة للدكتور عبد الحكيم بلبع : ص/٧٠-٩٩ ، وأبو عثمان الجاحظ للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي : ص/٢٠-٣٥ .
(١٠) هذه الأسباب استنتجتها من خلال ما كتبه الأستاذ محمد كرد علي في « أمراء البيان » عند حديثه عن البيان العربي . (١١) أمراء البيان : ص/١٥ .
(١٢) نفس المصدر نفس الصفحة . (١٣) نفس المصدر : ص/١٤ .
(١٤) البيان للجاحظ وأدب الكاتب لابن قتيبة والكامل للمبرد ، هذه الكتب الثلاثة من أمهات كتب الأدب (مقدمة ابن خلدون : ص/٢٥٥) .
(١٥) فليراجع للتفصيل إلى - أبي عثمان الجاحظ للدكتور خفاجي وضحى الإسلام لأحمد أمين - .
(١٦) والجاحظ إلى البسط أقرب في الأحايين ، لأنه يقرر أنظارًا ويضع تعاليم ، ويفسر علماً وأدبًا ، ويشرح معارف وحقائق ، ويحاج ويجادل ، فليس له غنى عن التوسع في فنون الكلام ، وإذا أفاض فكلامه كلام أهل القرن الثاني والثالث . أما بلاغته فبلاغة أهل القرن الأول ، لا سجع في كلامه إلا ما جاء عفوًا ، ولا تحس الصنعة فيه إلا إذا كان في تجديد المعاني والتراكيب ، واستعمال الجزل من الألفاظ (أمراء البيان للأستاذ محمد كرد علي : ص/١٤) .

دراسة لغوية :

صيغة زمن الفعل في العربية والإنجليزية

بقلم : الدكتور بشير أحمد
الأستاذ المساعد في جامعة جواهر لال نهرو - دلهي الجديدة

كل ذرة حية في هذا العالم الواقعي لها نشاط ونشاطها يتقدم كل لحظة ، وتقدمه يقاس بالزمن ، فاذن توجد هناك علاقة وثيقة بين النشاط وزمن النشاط ، واللغة - أية لغة - تحاول أن تعبر عن هذه العلاقة بينهما قدر طاقتها اللغوية وفي حدودها التركيبية ، وليست هذه المهمة للغة بسهلة وهي أصعب من أية مهمة نحوية أخرى في أية لغة .

كان النحاة العرب في قديم الزمن يهتمون بالفعل اهتمامًا عظيمًا وبحثوا فيه بحوثًا طويلة وكتبوا في ماهيته ومعانيه و أوزانه وأشكاله كتبًا كثيرة ، تكاد تتشابه بعضها المعجمات اللغوية ، ومع ذلك هناك انتقاد عام من قبل اللغويين المحدثين مثل الدكتور ابراهيم السامرائي على أن الأقدمين العرب ، لم يبحثوا في زمان الفعل وتحديداته « كما كان اهتمامهم الزائد بالفعل ومعانيه وصوره » (١) ، ولكن هذا الانتقاد لا يختص بالنحاة العرب فقط بل الآخرين أيضًا مثل نحاة الإنجليزية كما ينتقدهم روبرت قائلاً : « يبدو أن كان أسلافنا الأقدمون مهتمين بنوع الفعل أكثر من زمن الفعل » (٢) .

(Our primitive ancestors seem to have been more interested) in the kind of action than in the time of action .

إن عدم الاعتناء بزمن الفعل يبدو ظاهرة عالمية في الماضي ولعل

النحاة القدماء كانوا متحيرين في تحديد الزمن للأفعال وتركيب الصيغ لها لمعرفتهم على أن الزمن الحاضر مجرد خط تفريق بين الماضي والمستقبل وليس له واقع الوجود . وإذا قال الأستاذ لتلميذه : « اقرأ هذا السطر هذه اللحظة » فلن يستطيع التلميذ المسكين إطاعة أستاذه لأن الوقت قد مضى وأصبحت هذه اللحظة تلك اللحظة حتى قبل وصول صوت أستاذه إلى أذنه . ويقول السامرائي : « قد أنكر بعض المتكلمين فعل الحال . وقال : إن كان قد وجد فيكون ماضيًا وإلا فهو مستقبل وليس ثم ثالث » (٣) .

وكذلك هم عرفوا إن المستقبل أيضًا مجرد احتمال « كما كان الحاضر مجرد خط » ولا يمكن أن يكون الحديث عن المستقبل أمرًا واقعيًا إلا إذا أصبح ماضيًا . وهكذا كانت قضية زمن الفعل وتحديده أصعب الأمر للنحاة القدماء حتى إنهم فضلوا ترك علاجها للأجيال القادمة من النحاة .

ويقول روبرت : « إن صيغة زمن الفعل تطور مؤخر في اللغات الهندية الأوربيـــة (Tense was a late developement in the Indo-European-Languages) والإنجليزية الحديثة قد استطاعت أن تشكل وتركب صيغًا كثيرة مختلفة للزمن نستطيع بها أن نحدد عند كلامنا درجات معينة من زمن حدوث الفعل ماضيًا وحاليًا ومستقبلاً . وهناك في الاءنجليزية مفهوم الماضي القريب والبعيد والحال العادي والمستمر والمستقبل القريب والبعيد . وهذه كلها والأخرى يمكن التعبير عنها في الإنجليزية .

ولكن الأمر الذي يعجبنا ويدهشنا هو أن النحاة المحدثين يتفقون مع أسلافهم على أن الصيغة الأصلية لزمن الفعل الإنجليزي اثنتان فقط

وهما الماضي والحال .

أما الصيغ الباقية كلها بما فيها صيغة المستقبل فهي عندهم صيغ فرعية مبنية بمساعدة أفعال معاونة . ولا يزال النحاة المحدثون الكبار من هذا القرن يتمسكون بهذا الرأي ومنهم جيسپرسون (Jesperson) الذي يقول : « لا يوجد في الإنجليزية إلا صيغتان كاملتان لزمن الفعل » (٤) وكيرك (Quirk) الذي ينكر وجود صيغة مستقلة للفعل المستقبل في الإنجليزية (٥) ، وموهانن (Mohanan) اللغوي الهندي الحديث الذي بحث بحوثًا جيدة ومتركزة في هذا الأمر والذي أعد منهجًا دراسيًا للمدرسين المتدربين في المعهد المـــركزي للغة الإنجليزية واللغات الأجنبية بحيدرآباد ، وهو يقول : « إن الإنجليزية تستطيع أن تعبر عن زمن الماضي وزمن الحال وزمن المستقبل وهذا لا يعني أن لديها ثلاث صيغ مستقلة لزمن الفعل ، وهو يقول طالبًا الطلبة ألا يتعجبوا من هذه الحقيقة :

("Tense can be either Past or Present. Those of you who have been told that there are three tenses in English namely the Past, the Present and the Future might be a little surprised at this. Now it is true that English can express the Past time, the Present time and the Future time, but it does not follow that English has three tenses too"). (6)

فاذن الصيغة الأصلية لزمن الفعل في العربية والإنجليزية متساوية عددًا - الأمر الذي يؤكد على أن النحاة العرب قديمًا لم يخطئوا في تقسيم زمن الفعل وإنما أخطأوا في تسمية ما عدا الماضي مضارعًا لأن هذا الاسم لا يدل على زمن معين إما حالاً أو مستقبلاً كما يفعل اسم الماضي . فهذه التسمية الالتباسية التي تشير إلى كون الفعل مساويًا للاسم في

بعض أوزانه لا تكشف إلا عن حيرتهم وعدم قرارهم في ضبط دلالة هذا الفعل وإعطائه اسمًا مناسبًا .

وإننا نجد في الإنجليزية عدة من الصيغ الفرعية الواضحة المتازة التي بنيت كلها بمساعدة ما يسمى : « الأفعال المعاونة » (Auxiliaries) ، وبنيت صيغة المستقبل أيضًا على هـــذا النمط ، (فعل معاون + فعل حال = فعل المستقبل) (Auxiliary + Present - Future) .

وكذا توجد ثلاث صيغ فرعية لكل من صيغة الماضي وصيغة الحاضر وصيغة المستقبل الاصطناعية للدلالة على ما يسميها الأستاذ معين الدين الأعظمي « الفعل الاستمراري (Continuous Tense) والفعل الكامل (Perfect Tense) والفعل الكامل الاستمراري (Perfect Continuous Tense)

.. (٧) وهذه كلها أمكن بنائها بفضل المختلفة الكثيرة ، وهي كما يلي :

(Be verbs, Do verbs, Have verbs + shall, should, will, would, may, might, can, could, must, ought to etc).

وهل هناك أفعال أو صيغ معاونة في العربية كما نجد « في الإنجليزية ؟ والجواب نعم توجد هناك مثل هذه الصيغ ولكن عددها قليل ومحدود ، ومن تلك الأفعال والصيغ : يمكن ويجوز ويلزم وينبغي ويصح ويتعين ويتحتم ويحتمل ويفرض ، والأفعال الناقصة مثل كان وأخواتها وأفعال المقاربة مثل عسى وأفعال الشروع مثل شرع وكذلك اداة قد ، إلخ .

وإذا لم نجد أشكالاً أو صيغًا كثيرة مماثلة للصيغ الفرعية الإنجليزية في أية لغة أخرى بما فيها العربية فهو لا يعني ان تلك اللغة ضعيفة أو فقيرة ولعله هو العكس وربما هي غنية لأنها تخدم الإنسان الحديث وتشبع حاجة وذوق لسانه بقلة مواردها الفعلية ، وإن هذه الحقيقة أيضًا

تشير إلى عدم احتياج كثرة الصيغ الزمنية للفعل في أية لغة ويرى مـــودى (Mody) « إن تميز الزمن لا يعتمد كليًا على عدد صيغ زمن الفعل في أية لغة » (٨) .

إن براعة عقل الإنسان في استعمال اللغة هائلة وهي تستطيع ان تتلاعب بصيغها وتراكيبها مهما قلت أنواعها وتجعل اللغة أن تؤدي مهمتها ومرامها بأية وسيلة يسهل الوصول إليها .

٧٧٧

المقتبسات :

(١) فقه اللغة المقارن ، للدكتور ابراهيم السامرائي ، دار العلم للملايين بيروت ١٩٦٨م : ص/٥٢ .

(٢) "Understanding Grammar" by Robert. P, Harper & Bros, New York (1954) P- 134 .

(٣) الفعل زمانه وابنيته ، للدكتور ابراهيم السامرائي ، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٦م : ص/٢٤ .

(٤) "Essentials of Eng. Grammar" - Jesperson, Allen Unwin, London (1969) Page- 231.

(٥) "A Grammar of Contemporary English" by Quirk. R & others, Longman & co New York (1985) Page - 87.

(٦) "Modern English Grammar" by Mohanan, K. P. PGCTE Course, CIEFL, Hyderabad (1987) P- Les 8, pp 3.

(٧) « الترجمة من الإنجليزية إلى العربية - مناهجها وأصولها » للدكتور معين الدين الأعظمي حيدرآباد ١٩٩٠م : ص/٢٤ .

(٨) "A Comprative Study of English & Gujrati Syntaxes" by Mody J. J. M.S. University - Broda (1973) Page - 46 .

تحقيق ابن الجوزي في موضوع أبي شحمة !

الدكتور هارون الرشيد الصديقي

خلال دراستي بجامعة الرياض بالمملكة العربية السعودية منذ سنوات تشاجر إليّ ذات يوم طالبان من طلابها واحتكما إليّ علماً بحقيقة الرواية التي تنسب إلى عمر بن الخطاب وابنه أبي شحمة أن الأخير شرب وسكر حتى أتى الفاحشة بمصر وأقام عليه الحد أميرها عمرو بن العاص سرًا ، وبلغ ذلك عمر - رضي الله عنه - فغضب وضربه ثانية ، فمات أثناء الحد فأكمله عمر على جثته أو على قبره ، أ فصحيح أن ابن عمر شرب وأتى الفاحشة ؟ وأن عمر ضربه ثانية حتى مات قبل انتهاء الحد ثم ضرب بقية السياط على جثته أو على قبره .؟

العقل لا يستسيغ هذه الرواية إلا أن تثبت بسند صحيح فليس هناك عذر ، وكنت أعرف الرواية بما هي عليه إلا أنني أنسيت مرجعها فرجعت إلى شيخ لنا ، فدلنا على كتاب الموضوعات لابن الجوزي وتاريخ عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ، فألفيتها فيهما مفصلة مسهبة وقرأتها عليهما فاقتنعت قلوبهما وابتل غليلهما .

وفي العام الحالي ١٤١٦هـ قرأت في بعض الكتب الأردية نفس الرواية بغثها وسمينها ، كما سمعت بعض الخطباء يحكى على الناس نفس الرواية فأنكرتها عليه وبينت له ما عرفت ، ثم اشتد حرصي أن تنشر

الرواية بنصها وفصها في إحدى المجلات تعميمًا للفائدة ، قيل : إن ابن الجوزي متشدد في قبول الرواية فنقول : لا يهمنا ذلك ، فمن أسند فقد برئ ، وكتب الجرح والتعديل وأصول الرد والقبول كثيرة ومدونة وعلى أهل العلم والتحقيق الرد والتعقيب ، ولست أرى ابن الجوزي سلك أي نوع من التشدد في هذه الرواية .

وإليكم الرواية حسب ما أورده ابن الجوزي في موضوعاته أولاً وكما وردت في تاريخ عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ثانيًا .

باب ما روى أن عمر جلد ابنًا له حتى مات :

حُدثت عن أبي محمد هارون بن طاهر أنبأنا أبو الفضل صالح بن أحمد ابن صالح في كتابه أنبأنا أبو عبد الله الحسن بن على قراءة حدثنا محمد بن عبيد الأسدي حدثنا محمد بن الصلت حدثنا أبو الأحوص عن سعيد بن مسروق ، قال : « كانت امرأة تدخل على آل عمر أو منزل عمر ومعها صبي ، فقال : من ذا الصبي معك ؟ فقالت : هو ابنك ، وقع علي أبو شحمة فهو ابنه ، قال : فأرسل إليه عمر فأقر ، فقال عمر لعليّ - رضي الله عنهما - : اجلده ، فضربه عمر خمسين ، وضربه عليّ خمسين ، قال : فأتِيَ به ، فقال لعمر : يا أبة قتلتني ، فقال : إذا لقيت ربك -عزوجل- فأخبره أن أباك يقيم الحدود » .

هذا حديث موضوع ، وضعه القصاص ، وقد أبدوا فيه وأعادوا ، وقد شرحوا وأطالوا .

حُدثت عن شيرويه بن شهريار الحافظ أنبأنا أبو الحسن علي بن الحسن بن بكير الفقيه أنبأنا أبو بكر عبد الرحمن بن محمد بن القاسم

النيسافوري أنبأنا أبو سعد عبد الكريم بن أبي عثمان الزاهد حدثنا أبو القاسم بن بالويه الصوفي حدثنا أبو عبد الله ابراهيم بن محمد حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى حدثنا أبو حذيفة عن شبل عن مجاهد قال : « تذاكر الناس في مجلس ابن عباس ، فأخذوا في فضل أبي بكر ، ثم أخذوا في فضل عمر بن الخطاب ، فلما سمع عبد الله بن عباس بكى بكاءً شديدًا حتى أغمى عليه ، ثم أفاق فقال : رحم الله رجلاً لم تأخذه في الله لومة لائم ، رحم الله رجلاً قرأ القرآن وعمل بما فيه وأقام حدود الله كما أمر، لم يزد عن القريب لقرابته ، ولم يخف عن البعيد لبعده ، ثم قال : والله لقد رأيت عمر وقد أقام الحد على ولده فقتله فيه ، ثم بكى وبكى الناس من حوله وقلنا : يا ابن عم رسول الله إن رأيت أن تحدثنا كيف أقام عمر على ولده الحد ، فقال : والله لقد أذكرتمونى شيئًا كنت له ناسيًا ، فقلت : قسمنا عليك بحق المصطفى إما حدثتنا ، فقال : معاشر الناس ، كنت ذات يوم في مسجد رسول الله -ﷺ- وعمر بن الخطاب جالس والناس حوله يعظهم ويحكم فيما بينهم ، فإذا نحن بجارية قد أقبلت من باب المسجد ، فجعلت تتخطى رقاب المهاجرين والأنصار حتى وقفت بإزاء عمر فقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، فقال عمر : وعليك السلام يا أمة الله ، هل من حاجة ؟ فقالت : نعم أعظم الحوائج إليك ، خذ ولدك هذا مني فأنت أحق به مني ، ثم رفعت القناع فإذا على يدها طفل ، فلما نظر إليه عمر قال : يا أمة الله أسفرى عن وجهك فأسفرت ، فأطرق عمر وهو يقول : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، يا هذه أنا لا أعرفك ، فكيف يكون هذا ولدي ؟ فبكت الجارية

حتى بلت خمارها بالدموع ، ثم قالت : يا أمير المؤمنين إن لم يكن ولدك من ظهرك فهو ولد ولدك ، قال : أيّ أولادي ؟ قالت : أبو شحمة ، قال : أبحلال أم بحرام ؟ قالت : من قبلي بحلال ومن جهته بحرام ، قال عمر : وكيف ذاك ؟ قالت : يا أمير المؤمنين اسمع مقالتي فوالله ما زدت عليك حرفًا ولا نقصت ، فقال لها : اتقى الله ولا تقولي إلا الصدق ، قالت : يا أمير المؤمنين كنت في بعض الأيام مارة في بعض حوائجي إذ مررت بحائط لبنى النجار ، فإذا أنا بصائح يصيح من ورائي ، فإذا أنا بولدك أبي شحمة يتمايل سكرًا ، وكان قد شرب عند نسيكة اليهودي ، فلما قرب مني توعّدني وتهدّدني وراوَدَني عن نفسي وجرّني إلى الحائط فسقطت وأغمى عليّ ، فوالله ما أفقت إلا وقد نال مني ما ينال الرجل من امرأته ، فقمت وكتمت أمري عن عمي وجيراني ، فلما تكاملت أيامي وانقضت شهوري وضربني الطلق وأحسست بالولادة خرجت إلى موضع كذا وكذا فوضعت هذا الغلام فهممت بقتله ثم ندمت على ذلك ، فاحكم بحكم الله بيني وبينه ، قال ابن عباس : فأمر عمر - رضي الله عنه - مناديه ينادى ، فأقبل الناس يهرعون إلى المسجد ثم قام عمر فقال : يا معاشر المهاجرين والأنصار لا تتفرقوا حتى آتيكم بالخبر ، ثم خرج من المسجد وأنا معه ، فنظر إلي وقال : يا ابن عباس أسرع معي ، فجعل يسرع حتى قرب من منزله فقرع الباب فخرجت جارية كانت تخدمه ، فلما نظرت إلى وجهه وقد غلبه الغضب قالت : ما الذي نزل بك ؟ قال يا هذه ولدي أبو شحمة ههنا ؟ قالت : إنه على الطعام ، فدخل وقال له : كل يا بني فيوشك أن يكون آخر زادك من الدنيا ، قال : قال ابن عباس : فرأيت الغلام وقد تغير لونه

وارتعد ، وسقطت اللقمة من يده ، فقال له عمر : يا بني من أنا ؟ قال : أنت أبي وأمير المؤمنين ، قال : فلي عليك حق طاعة أم لا ؟ قال : طاعتان مفترضتان ، أولهما : أنك والدي والأخرى أنك أمير المؤمنين ، فقال عمر: بحق نبيك وبحق أبيك ، فإني أسألك عن شئ إلا أخبرتني ، قال : يا أبة لا أقول غير الصدق ، قال : هل كنت ضيفًا لنسيكة اليهودي ، فشربت عنده الخمر وسكرت ، قال : بأبي قد كان ذلك وقد تبت ، قال : يا بني رأس مال المذنبين التوبة ، ثم قال : يا بني أنشدك الله هل دخلت ذلك اليوم حائطًا لبني النجار فرأيت امرأة فواقعتها ؟ فسكت وبكى وهو يبكى ويلطم وجهه ، فقال له عمر : لا بأس اصدق فإن الله يحب الصادقين ، فقال : يا أبي كان ذلك والشيطان أغواني وأنا تائب نادم ، فلما سمع عمر ذلك قبض على يده ولببه وجره إلى المسجد ، فقال : يا أبة لا يعصمني على رؤوس الخلائق حد السيف واقطعني ههنا إربًا إربًا ، قال : أما سمعت قول الله -عزوجل- : ﴿ وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ﴾ ثم جره حتى أخرجه بين يدي أصحاب رسول الله -ﷺ- في المسجد وقال : صدقت المرأة ، وأقر أبو شحمة بما قالت : وله مملوك يقال له أفلح ، فقال له : يا أفلح إن لي إليك حاجة إن أنت قضيتها فأنت حر لوجه الله ، فقال : يا أمير المؤمنين مُرني بأمرك ، قال : خذ ابني هذا فاضربه مائة سوط ولا تقصر في ضربه ، فقال : لا أفعله ، وبكى وقال : يا ليتني لم تلدني أمي حيث أكلف ضرب ولد سيدي ، فقال له عمر : إن طاعتي طاعة الرسول فافعل ما أمرتك به ، فأنزع ثيابه ، فضج الناس بالبكاء والنحيب ، وجعل الغلام يشير بإصبعه إلى أبيه ويقول : أبة ارحمني فقال له عمر وهو

يبكى : ربك يرحمك ، وإنما هذا كي يرحمني ويرحمك ، ثم قال : يا أفلح اضرب ، فضرب أول سوط ، فقال الغلام : بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال : نعم الاسم سميتَ يا بني ، فلما ضربه به ثانية قال : أوّه يا أبة ، فقال عمر : اصبر كما عصيت ، فلما ضرب ثالثًا قال : الأمان ، قال عمر : ربك يعطيك الأمان ، فلما ضربه رابعًا قال : واغوثاه ، فقال : الغوث عند الشدة ، فلما ضربه خامسًا حمد الله ، فقال عمر : كذا يجب أن تحمده ، فلما ضربه عشرًا قال : يا أبة قتلتني قال : يا بني ذنبك قتلك ، فلما ضربه ثلاثين قال : أحرقت والله قلبي ، قال : يا بني النار أشد حرًا ، قال : فلما ضربه أربعين قال : يا أبة دعني أذهب على وجهي ، قال : يا بني إذا أخذت حد الله من جنبك اذهب حيث شئت ، فلما ضربه خمسين قال : نشدتك بالقرآن لما خليتني ، قال : يا بني هلا وعظك القرآن وزجرك عن معصية الله -عزوجل- ، يا غلام اضرب ، فلما ضربه ستين قال : يا أبي أغثني ، قال : يا بني إن أهل النار إذا استغاثوا لم يُغاثوا ، فلما ضربه سبعين قال : يا أبة اسقني شربة من ماء ، قال : يا بني إن كان ربك يطهرك فيسقيك محمد -ﷺ- شربة لا تظمأ بعدها أبدًا ، يا غلام اضرب ، فلما ضربه ثمانين قال : يا أبة السلام عليك ، قال : وعليك السلام ، إن رأيت محمدًا -ﷺ- فأقرئه مني السلام وقل له : خلفتُ عمر يقرأ القرآن ويقيم الحدود ، يا غلام اضربه ، فلما ضربه تسعين انقطع كلامه وضعف ، فوثب أصحاب رسول الله -ﷺ- من كل جانب فقالوا : يا عمر انظر كم بقي فأخره إلى وقت آخر ، فقال : كما لا تؤخر المعصية لا تؤخر العقوبة ، فأتى الصريخ إلى أمه فجاءت باكية صارخة ، وقالت : يا عمر أحج بكل سوط

حجة ماشية ، وأتصدق بكذا وكذا درهمًا ، قال : إن الحج والصدقة لا تنوب عن الحد ، يا غلام أتم الحد ، فلما كان آخر سوط سقط الغلام ميتًا ، فقال عمر : يا بني محص الله عنك الخطايا ، وجعل رأسه في حجره وجعل يبكى ويقول : بأبى من قتله الحق ، بأبى من مات عند انقضاء الحد ، بأبى من لم يرحمه أبوه وأقاربه .! فنظر الناس إليه فإذا هو قد فارق الدنيا ، فم يُرَ يوم أعظم منه ، وضج الناس بالبكاء والنحيب ، فلما كان بعد أربعين يومًا أقبل عليه حذيفة بن اليمان صبيحة يوم الجمعة فقال : إني أخذت وِردي من الليل فرأيت رسول الله -ﷺ- في المنام وإذا الفتى معه حلتان خضراوان ، فقال رسول الله -ﷺ- : أقرئ عمر مني السلام وقل له : هكذا أمرك الله أن تقرأ القرآن وتقيم الحدود ، وقال الغلام : أقرئ أبي مني السلام وقل له : طهرك الله كما طهرتني ، والسلام ».

حُدثت عن هارون بن طاهر أنبأنا صالح بن أحمد بن محمد في كتابه حدثنا أبو الحسين علي بن الحسين الرازي إملاءًا حدثنا أبو يزيد محمد بن يحيى بن خالد المروزي حدثنا محمد بن أحمد بن صالح التيمي حدثني الفضل بن العباس حدثني عبد العزيز بن الحجاج الخولاني قال أبو الحسين - هكذا قال - وهو عندي عبد القدوس بن الحجاج حدثني صفوان عن عمر أنه كان له ابنان يقال لأحدهما عبد الله والآخر عبيد الله ، وكان يُكنى أبا شحمة ، وكان أبو شحمة أشبه الناس برسول الله -ﷺ- تلاوة للقرآن الكريم ، وأنه مرض مرضًا ، فجعل أمهات المؤمنين يَعدنه ، فبيناهن في عيادته قلن لعمر : لو نذرت على ولدك كما نذر عليّ بن أبي طالب على ولده الحسن والحسين فألبسهما الله العافية ، فقال عمر : عليّ

نذر واجب لئن ألبس الله -عزوجل- ابني العافية أن أصوم ثلاثة أيام ، وقالت والدته مثل ذلك ، فلما أن قام من مرضه أضافه نسيكة اليهودي ، فأتوه بنبيذ التمر فشرب منه ، فلما طابت نفسه خرج يريد منزله ، فدخل حائطًا لبني النجار ، فإذا هو بامرأة راقدة فكابدها وجامعها ، فلما قام معها شتمته وخرقت ثيابه وانصرفت إلى منزلها » وذكر الحديث بطوله .

هذا حديث موضوع ، كيف رُوى ومن أي طريق نُقل ؟ وضعه جهال القصاص ليكون سببًا في تبكية العوام والنساء ، فقد أبدعوا فيه وأتوا بكل قبيح ونسبوا إلى عمر ما لا يليق به ، ونسبوا الصحابة إلى ما لا يليق بهم ، وكلماته الركيكة تدل على وضعه ، وبُعده عن أحكام الشرع يدل على سوء فهم واضعه وعدم فقهه ، وقد تعجل واضعه قذف ابن عمر بشرب الخمر عند اليهودية ، ونسب عمر إلى أنه أحلفه بالله ليقر ، وحُوشي عمر، لأنه لو رأى أمارة ذلك لصدف عنها فإن ما عزًا لما أقر أعرض عنه رسول الله -ﷺ- ، فلما أعاد الإقرار أعرض عنه إلى أن قال له : أبك جنون ، وقد قال : « ادرأوا الحدود ما استطعتم » وقال عمر لرجل : أقر بذنب عند رسول الله -ﷺ- « لقد سترك الله لو سترت نفسك » وكيف يحلف عمر ولده بالله هل زنيت ، هذا لا يليق بمثله ، وما أقبح ما زينوا كلامه عند كل سوط ، وذلك لا يخفى عن العوام أنه صنعه جاهل سوقي ، وقد ذكر أنه طلب ماء فلم يسقه ، وهذا قبيح في الغاية ، وحكوا أن الصحابة قالوا : أخر باقي الحد ، وأن أم الغلام قالت : أحج عن كل سوط ، وهذا كله يتحاشى الصحابة عن مثله ، ومنام حذيفة أبرد من كل شئ ، ثم شبهوا أبا شحمة برسول الله -ﷺ- ، ثم قذفوه بالفاحشة ، ولعمري إنه قد ذكر

الزبير بن بكار أن عبد الرحمن الأوسط من أولاد عمر كان يُكنى أبا شحمة وعبد الرحمن هذا كان بمصر خرج غازيًا ، فاتفق أنه شرب ليلة نبيذًا فخرج إلى السكر فأصبح فجاء إلى عمرو بن العاص فقال له : أقم علي الحد ، فامتنع ، فقال له : إني أخبر - أنى - [أبى] إذا قدمتُ عليه ، فضربه الحد في داره ولم يخرجه ، فكتب إليه عمر يلومه في مراقبته لعبد الرحمن ويقول : ألا فعلت به ما تفعل بجميع المسلمين فلما قدم على عمر ضربه ، واتفق أنه مرض فمات ، هذا الذي ذكره محمد بن سعيد في الطبقات وغيره ، وليس بعجيب أن يكون شرب النبيذ متأولا فسكر عن غير اختيار ، وإنما لما قدم علي عمر ضربه ضرب تأديب لا ضربِ حد ، ومرض بعد ذلك لا من الضرب ومات ، فلقد أبدوا فيه القصاص وأعادوا ..

وفي الإسناد الأول من هو مجهول ثم هو منقطع ، وسعيد بن مسروق من أصحاب الأعمش [فأين هو] وعمر ، وكذلك الإسناذ الثاني فيه مجاهيل ، قال الدارقطني : حديث مجاهد عن ابن عباس في حد أبي شحمة ليس بصحيح ، وأما الإسناد الثالث فإن عبد القدوس كذاب ، قال ابن حبان : كان يضع الحديث على الثقاة ، لا يحل كتب حديثه ، وأما صفوان الراوي عن عمر فبينه وبين عمر رجال ، والمتهم بهذا الحديث الرجال الذين في أول الإسناذ ، ولا طائل في الإطالة بجرح رجاله ، فإنه لو كان رجاله من الثقاة عُلم أنه من الدساسين لما فيه مما يتنزه عنه الصحابة ، فكيف ، وليس إسناده بشئ (١) .

---

(١) كتاب الموضوعات ، الجزء الثالث لابن الجوزي : ص/٢٦٩-٢٧٥ .

هذا ما صحّ عند ابن الجوزي وكتبه في تاريخ عمر بن الخطاب في ذكر ضربه لولده على شرب الخمر :

عن أسامة بن أسلم عن أبيه عن جده قال سمعت عمرو بن العاص يومًا ذكر عمر - رضوان الله عليه - فترحم عليه ثم قال ما رأيت أحدًا بعد نبي الله وأبي بكر - رضوان الله عليه - أخوف لله من عمر ، لا يبالي على من وقع الحق ، على ولد أو والد ، ثم قال : والله إني لفي منزلي بمصر إذا أتاني آت فقال : قدم عبد الله وعبد الرحمن ابنا عمر عاريين ، فقلت للذي أخبرني أين نزلا ، قال : في موضع كذا وكذا لأقصى مصير ، وقد كتب إلى عمر : إياك أن يقدم أحد من أهلي فتحبوه بأمر لا تصنعه لغيره فافعل بك ما أنت أهله فإني لا أستطيع أن أهدى لهما ولا آتيهما في منزلهما للخوف من أبيهما ، فوالله إني لعلى ما أنا عليه إلى أن قال قائل هذا عبد الرحمن بن عمر وأبو سروعة على الباب يستأذنان ، فقلت : يدخلان ، فدخلا وهما منكسران،فقالا : أقم علينا حد الله فإنا قد أصبنا البارحة شرابًا فسكرنا ، قال : فزبرتهما (١) وطردتهما فقال عبد الرحمن:إن لم تفعل أخبرت أبي إذا قدمت ، قال : فحضرني رأي وعلمت أني إن لم أقم عليهما الحد غضب على عمر في ذلك وعزلني وخالفه ما صنعت ، فنحن على ما نحن عليه إذ دخل عبد الله بن عمر ، فقمت إليه فرحبت به وأردت أجلسه في صدر مجلسي ، فأبي على وقال : أبي نهاني أن أدخل عليك إلا أن لا أجد من ذلك بدًا إن أخي لا يحلق على رؤوس الناس شيئًا،فأما الضرب فاصنع ما بدالك ، قال : وكانوا يحلقون مع الحد ، قال : فأخرجتهما إلى صحن الدار فضربتهما الحد ودخل بن عمر بأخيه إلى بيت من الدار فحلق رأسه

---

(١) قال في المصباح زبره زبرًا من باب قتل زجره ونهره .

ورأس أبي سروعة ، فوالله ما كتبت إلى عمر بشئ مما كان حتى إذا تحينت كتابه إذ هو نظم فيه .

بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى العاص بن العاص ، عجبت لك يا ابن العاص ولجرأتك على وخلاف عهدي ، أما إني قد خالفت فيك أصحاب بدر ممن هو خير منك وأخير لك،بجرأتك عني وإفقاد عهدي وأراك تلوثت بما تلوثت فما أراني إلا عازلك فمسئ عزلك ، تضرب عبد الرحمن في بيتك وتحلق رأسه في بيتك ، وقد عرفت أن هذا يخالفني ، إنما عبد الرحمن رجل من رعيتك تصنع به ما تصنع بغيره من المسلمين ، ولكن قلت هو ولد أمير المؤمنين وقد عرفت أن لا هوادة لأحد من الناس عندي في حق يجب لله عليه ، فإذا جاءك كتابي هذا فابعث به في عباءة على قتب حتى يعرف سوء ما صنع ، فبعثت به كما قال أبوه وأقرأت ابن عمر كتاب أبيه وكتبت إلى عمر كتابًا أعتذر فيه وأخبره إني ضربته في صحن داري وبالله الذي لا يحلف بأعظم منه إني لأقيم الحدود في صحن داري على الذمى والمسلم ، وبعث بالكتاب مع عبد الله بن عمر ، قال أسلم : فقدم بعبد الرحمن على أبيه فدخل عليه وعليه عباءة ولا يستطيع المشى من مركبه فقال يا عبد الرحمن فعلت كذا وفعلت السياط ، فكلمه عبد الرحمن بن عوف وقال : يا أمير المؤمنين قد أقيم عليه الحد مرة فلم يلتفت إلى هذا عمر وزبره ، فجعل عبد الرحمن يصيح أنا مريض وأنت قاتلي فضربه وحبسه ثم مرض فمات رحمه الله ، عن عبد الله بن عمر قال شرب عبد الرحمن بن عمر وشرب معه أبو سروعة عقبة بن الحارث ونحن بمصر في خلافة عمر - رضوان الله عليه - فسكرا ، فلما أصبحا

انطلقا إلى عمرو بن العاص وهو أمير مصر ، فقالا : طهرنا فإنا قد سكرنا من شراب شربناه ، قال عبد الله بن عمر : ولم أشعر أنهما أتيا عمرو بن العاص قال قال فذكر لي أخي انه قد سكر فقلت له ادخل الدار أطهرك فآذنني أنه قد حدث الأمير قال عبد الله بن عمر فقلت والله لا يحلق اليوم على رؤوس الأشهاد ادخل أحلقك وكانوا إذ ذاك يحلقون مع الحد فدخل معي الدار ، قال عبد الله : فحلقت أخي بيدي ثم جلدهم عمرو بن العاص ، فسمع عمر بن الخطاب - رضوان الله عليه - فكتب إلى عمرو أن ابعث إلى بعبد الرحمن بن عمر على قتب ففعل ذلك عمرو ، فلما قدم عبد الرحمن على عمر جلده وعاقبه من أجل مكانه منه ثم أرسله فلبث شهرا صحيحًا ، ثم أصابه قدره فتحسب عامة الناس أنه مات من جلد عمر ولم يمت من جلده ، قلت لا ينبغي أن يظن بعبد الرحمن بن عمر أنه شرب الخمر وإنما شرب النبيذ متأولا يظن أن الشرب منه لا يسكر وكذلك أبو سروعة وأبو سروعة من أهل بدر فلما خرج بهما الأمر إلى السكر طلبا التطهير بالحد وقد كان يكفيهما مجرد الندم على التفريط غير أنهما غضبا لله سبحانه على أنفسهما المفرطة فأسلماها إلى إقامة الحد ، وأما كون عمر أقام الحد، على ولده فليس ذلك حدًا ، وإنما ضربه غضبًا وتأديبًا وإلا فالحد لا يكرر

وقد أخذ هذا الحديث قوم من القصاص فابدوا فيه وأعادوا فتارة يجعلون هذا الظن - الحد - مضروبًا على شرب الخمر وتارة على الزنا ويذكرون كلامًا ملفقًا يبكى العوام لا يجوز أن يصدر عن مثل الخمر ، وقد ذكرت الحديث بطرقه في كتاب الموضوعات ونزهت هذا الكتاب عنه .

٧٧٧

صور و أوضاع:

فراغ في الاعلام والاستعلام

واضح رشيد الندوي

إن الأحداث التي تقع على المسرح العالمي ، إن اختلفت في طبيعتها ومواضعها ، وبواعثها ، وإن ظهرت بعيدة عن المساس بالمسلمين مباشرة لبعدهم عنها ، أو لعدم تورطهم فيها ، لا تخلو من التأثير على المسلمين إيجابيًا أو سلبيًا ، ولا يستطيع المسلمون أن يغفلوها ، أو يعتبروا أنفسهم في نجوة من ملابساتها ، فإن العالم اليوم بفضل تسهيلات المواصلات والاتصالات التي تعبر القارات ، وتخرق سرعة الضوء والصوت ، والعناصر التي تتمتع بالسيادة العالمية ، وتتحكم في مصير العالم ، وتصرف الأمور في دول لا تخضع لسيادتها ، وتتخطى سيادتها الحدود الجغرافية ، عالم موحد متشابك بعضه ببعض ، ومصالح منطقة واحدة مرتبطة ، بمصالح منطقة أخرى ، فيتأثر الإنسان الذي يعيش في أقصى الشرق ، بما يحدث في أقصى الغرب ، وإن لم يكن هذا التأثر عمليًا والانعكاس فعليًا ، كان ذهنيًا وشعوريًا ، وقد ضيقت المسافات والفواصل التي كانت بين مختلف مجتمعات الإنسان جغرافيًا ، وثقافيًا ، الوسائل المعاصرة ، ولا تنقل أحداث منطقة إلى أخرى ، والأحاسيس والمشاعر التي تختلج في صدور رجال مجتمع إلى أذهان رجال مجتمع آخر ، بوسائل الاعلام ومواد القراءة فحسب ، بل كان تنقل الرجال والوفود ، والبعثات من مكان إلى مكان ، واختلاط رجالها برجال منطقة أخرى عاملاً آخر لنقل الأفكار والميول والنزعات ، وتدرك الدول الكبرى مدى هذا

التقارب والترابط بين مختلف أنحاء العالم ، فلا تتردد في إظهار رد فعلها إزاء أي حادث يقع في أي جزء من العالم ، وتتخذ إجراء في ضوء ذلك الحادث ، وقد بلغ هذا الانفعال لوجود مصالح مشتركة عالمية النطاق ، حدا ، تتدخل فيه الدول الكبرى في الشئون الداخلية ، للبلدان الأخرى ، فتعرب عن تصورها ، بل تملى إرادتها على الدول الأخرى في صدد المواقف إزاء الحركات والشخصيات والمؤسسات المالية ، أو التعليمية ، ونظام الحكم ، و وسائل إقرار النظام ، وبلغ ذلك الشعور منها مبلغ الحذر والحيطة في كل أمر ، قد يكون له تأثير على الأحداث في عالمها .

وقد تطورت في العالم بسبب هذا الترابط وبسبب المصالح المشتركة لدول العالم كله سياسيًا واقتصاديًا وثقافيًا ، نزعة إلى اخضاع الدول الأخرى لمنهجها ، فلا يحدث حادث بسيط في أي جزء من العالم ، إلا ويصبح هذا الحادث البسيط حادثًا دوليًا ، وينقسم العالم إزاءه إلى فرقاء معنيين ، وإن كان هذا الحادث إقليميًا ، محدودًا في بيئة خاصة ، ومسألة شخصية ، أو قضية أمنية لبلد معين ، وتقوم وسائل الاعلام بتحويل هذا الحادث قضية عالمية ، إذا ارتبطت بها مصلحة بلد كبير ، وتضخم هذا الحادث بقدر ضخامة وقوة ذلك البلد الذي يبدى اهتمامه به ، فيصبح حادث يجب أن لا تتجاوز أهميته عن مخفر بوليس منطقة محدودة ، أو محكمة قضائية بلدية ، قضية عالمية تدلى فيها الدول الكبرى رأيها ، وتصدر حكمها ، وتنقل مشاعرها إلى حكومة ذلك البلد ، وترغمها على اتخاذ موقف في ضوء تصور البلد الذي يملك وسائل أكثر ، وتخوفها بالنتائج السيئة ، إذا لم تستجب لرغباتها .

كانت قضية مسيحيين باكستانيين أدانتهما محكمة بإساءة الأدب إلى ذات الرسول -ﷺ- ، قضية عادية إقليمية ، ولكن هبت عاصفة في العالم

كله . واهتزت الحكومة الباكستانية . و واجهت تهديدات خطيرة من دول العالم الغربي الذي يدعى بالعلمانية وعدم التدخل في الشئون الداخلية . وظهرت لافتات حرية التعبير . والحرية الشخصية والإكراه الديني . واتهم الإسلام والمسلمون بالتحجر والتزمت والإكراه . واضطرت الحكومة إلى إطلاق سراحهما وإرسالهما إلى بلد أوربي . وبعد فترة حدث أن قتل ولد مسيحي في باكستان في حادث لم يكن إلا جريمة من الجرائم العادية . التي لا صلة لها بالدين والعقيدة . فحولت وسائل الاعلام العالمي هذا الحادث قضية القمع الديني . واضطهاد الأقليات في بلد إسلامي . وتدخلت الحكومات الأوربية كما تدخلت في قضية المسيحيين اللذين أدينا في تهمة الإساءة إلى ذات الرسول -ﷺ- .

كان حادث مماثل حدث في الهند . فقد تعرضت جماعة من الرهبان والراهبات في جنوب الهند لحادثة . أثناء الاضطرابات الطائفية . ولم يكن الهجوم عليهم موجها إليهم . وإنما كان نتيجة لسوء فهم . وصارت هذه الحادثة قضية بين الهند وبعض الدول الأوربية . واتخذت خطورة تهدد العلاقات بين البلدين .

ومما يستغرب أن بعض الأحداث التي لا تحمل أهمية كبيرة . تفخمها وسائل الاعلام . وتشترك فيها الحساسية الزائدة التي يعاني منها المجتمع الأوربي . وتتجاوز هذه الحساسية إلى الحكومات . وتتضخم وتبحث وتناقش في البرلمانات . وفي الاجتماعات العلمية والاقتصادية والعسكرية . وتتخذ شكل خطر يهدد سلامة أوربا كلها . وقد تكون بعض الأحداث منفصلة ومنعزلة . تجمعها وسائل الاعلام من مختلف بقاع

العالم . أو البلاد أو المجتمعات . وتكون منها صورة . وتصطنع أسطورة وتنقل إلى الحكام ليرسموا سياستهم في ضوئها .

وقد ركز الاعلام اهتمامه على ما يسميه بالخطر الإسلامي . فيرى من وظيفته أن ينقل إلى المسئولين في الغرب كل ما يحدث في العالم الإسلامي . وتساعده فيه المخابرات العالمية . فتقوم بعملية التمشيط والتنقيب عن أذهان الشباب والكهول . وخواطر الحكام والمحكومين . وتعرف أوربا بكل من ثار على الإسلام . أو تحمس له . فإذا اعتدى أحد على الإسلام نال أمره اهتمام القيادات السياسية في الدول الأوربية . فتسرع إلى إعلان حمايتها لذلك المارد . وتتدخل في المسألة وتعلن استعدادها لمنحه اللجوء السياسي . وتأمين سلامته . وكانت قضية أبو نصر في مصر الذي أدين في محكمة الاستيناف القضية الأخيرة لا الآخرة . بعد قضية تسليمه نسرين وسلمان رشدي وآخرين .

وتدل هذه المواقف على المعرفة الدقيقة لا تجاه العالم ومراقبة ما يحدث فيه . كما تدل على انحياز الحكومات في أوربا انحيازًا كاملاً في مسألة الدين . وقد أعلنت الحرب على الأصولية الإسلامية . والإرهاب الإسلامي أخيرًا . وهي أيضًا خطوة متقدمة من خطوات موقف أوربا العدائي للإسلام . والموالي للمسيحية . وتلعب وسائل الاعلام فيها دورًا رائدًا فتلتقط هذه الأحداث المنعزلة في العالم . وتفخمها وتبرزها وتحلل عناصرها . وتجعلها قضية حاسمة . وتحدث الحرارة فيها ليحدث بها انفعال في أوساط الغرب المسيحي . وتضطر الحكومات إلى التدخل . ولا يمنعها من التدخل ستار العلمانية الذي تتخذه منذ قرون . وتعلنه الدول المحبة للتقدم .

وبجانب الاعلام والمخابرات التي تقوم بنقل هذه الأحداث إلى حكام العالم الغربي ، لتمكنهم من الهيمنة على العالم ، وفرض نظامهم عليه ، تقوم السفارات لهذه الدول أيضًا بوظيفة الاعلام والاستعلام ، فإنها أيضًا أداة قوية عاملة للاستخبار والاطلاع ، وابلاغ حكوماتها بالوضع السائد والاتجاهات الساحقة في البلدان التي تعمل ، ويختلط رجالها بالعناصر المختلفة ، ولا تقتصر صلاتهم برجال الأعمال ، ورجال الحكومة ، بل تتعدى علاقاتهم برجال مجتمعات شعبية مختلفة ، ليتعرفوا على الأوضاع المحلية ، لتكون حكوماتهم على معرفة تامة ، ولكل حكومة مصلحة سياسية وتجارية ، وكذلك لها عقيدة تتمسك بها ، وهكذا تمثل السفارات دورًا ملحوظًا في ربط دول العالم ، ولذلك يتجه الاهتمام الأول إلى فتح السفارات وملحقاتها المختلفة ، وتصدر هذه السفارات نشرات لتطلع سكان البلد الذي تقوم فيه على أحداث بلدها ، وتتابع ما ينشر في ذلك البلد ، وتقيم اتصالا بالأفراد والجماعات ، والصحفيين والكتاب في البلدان التي تعمل فيها .

وللدول الأوربية في هذا المجال نشاط ملحوظ ، ونظام دقيق ، ولها صلة وثيقة بالطبقات المختلفة ، وقد دخلت في هذا المضمار إسرائيل ولها نشاط كبير ، وسفارتها أو قنصليتها تؤدى مسئوليتها بدقة وحذر ، واجتهاد بالإضافة إلى المنظمات الاجتماعية والاقتصادية التي لا تؤدى وظائفها الاجتماعية والاقتصادية فحسب ، بل تقيم علاقاتها مع رجال الحياة العامة ، وتؤدى خدمة كبيرة في إقامة صلات وثيقة ، وفي جمع الأخبار .

من سوء الحظ ، إن العالم الإسلامي بدوله التي يزيد عددها على خمسين

دولة ، متخلف ، أو مقيد عن العمل ، في هذا القطاع الهام للتأثير على النفوس ولعرض قضايا المسلمين على جميع المستويات ، ومهما تكن من أسباب لهذا التقيد ، فإن إغفال هذا القطاع يؤدى إلى الانعزال للعالم الإسلامي .

لقد كان من بواعث سيادة اليهود اقتحامهم في قطاع الاعلام ، وقد اتخذوا قرار الاستيلاء على الاعلام وهم أمة منعزلة ، في عام ١٩٣٥م ، وتوجهت إليه عناية أثريائهم ، فأثبتوا للعالم باعلامهم المنظم أنهم اضطهدوا ، أن حقوقهم ضاعت ، وأنهم أمة تائهة ، فكسبوا عطف العالم ، ولا يزالون يسيرون على هذا الخط ، وهم يملكون الآن وسائل الاعلام بجميع أقسامها ، ويفهم العالم الأوضاع من رؤيتهم ، إنهم سيطروا لتحقيق هذا الهدف على وسائل الاعلام ، وقاموا بشراء معظم الجرائد والمجلات العالمية ، ومنظمات الاعلام ، و وكالات الأنباء ، وأدخلوا عقائدهم فيها ، قاموا بشراء الضمائر ، واستمالوا الكتاب والصحفيين ، والعقلاء ، لتقديم تصورهم عن العالم رغم أنهم يشكلون دولة صغيرة محاطة بالدول الكبرى المعاندة ، لكن كلمتهم تنفذ إلى تلك الدول ، وتسمع بجانب دول العالم الأخرى .

لقد ضاعت قضية المسلمين في هذا العصر رغم شرعيتهم ، ورغم كون قضيتهم قضية عادلة ، لإهمالهم هذه الأداة ، الفعالة في التوعية ، وتعبئة الرأي العام ، فهم يعانون الاضطهاد والظلم ، ويعرف العالم انهم هم الإرهابيون ، وهم المخربون ، وسيبقى هذا الوضع ما لم يتخذ إجراء لردع الإعلام المعاند لهم ، ولعرض قضيتهم بقوة ، وثقة بالنفس .

٧٧٧

أخبار علمية و ثقافية :

وفد ندوة العلماء يزور الجامعة الإسلامية

بأجراره - بمديرية ميرت

الأستاذ محمد شاهجهان الندوي

استقبلت الجامعة الإسلامية العربية بأجراره في مديرية ميرت ، لولاية أترابراديش (الهند) مسئولين وأعضاء وأساتذة وطلابًا صباح يوم الـ س ١٤١٦/٢/٥هـ المصادف ٢/من شهر أغسطس ١٩٩٥م ضيوفًا كرامًا ينتمون إلى جامعة ندوة العلماء بلكناؤ .

وهم سعادة الدكتور عبد الله عباس الندوي ، وصاحب الفضيلة عبد الله الحسني الندوي ، وفضيلة الأستاذ عبد العزيز البتكلي الندوي .

شرّف هؤلآء الضيوف الكرام الجامعة في الساعة التاسعة وقاموا بجولة في الجامعة وزاروا المكتبة العامة ، ومختلف أقسامها وصفوفها ، وألموا بالنشاطات التعليمية والتربوية ، والأعمال الدعوية للجامعة ، و وضعوا حجر الأساس للمطهى .

ونظم النادي العربي لطلاب الجامعة بعد صلاة الظهر حفل تكريم وترحيب بالضيف الجليل سعادة الدكتور عبد الله عباس الندوي في مسجد الجامعة برئاسة فضيلة مديرها الشيخ عبد الله المغيثي ، قُدمت فيها كلمة شكر وترحيب ، وجاء فيها : « إن خدمات جامعة ندوة العلماء في حقول الدعوة ، وميادين التعليم والتربية ، ليست خافية على أحد ، فقد خرجت قوافل من الدعاة إلى الله ، والكتاب الإسلاميين ، الذين لهم دور طليعي في إحقاق الحق ، وإبطال الباطل ، ونشر التوحيد الخالص النقي ، والدعوة إلى تطبيق الشريعة الإلهية العادلة الرحيمة ، في أسلوب عصري جذّاب ، والصمود أمام التيارات الهدامة والحضارة الغربية .

وهذه هي نقطة هامة خطيرة ، تلتقى فيها الجامعة الإسلامية العربية بجامعة ندوة العلماء المؤقرة التي تتشرف برعاية سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي - حفظه الله تعالى - .

وتحدث بعدها فضيلة الأستاذ عبد الله الحسني الندوي ، وقدم تعريفًا بخدمات سعادة الدكتور عبد الله عباس الندوي ، ومآثره العلمية ، وأسدى إلى الطلاب بهذه المناسبة نصائح غالية ، وبعد كلمته تحدث سعادة الدكتور عبد الله عباس الندوي ، وأعرب عن بالغ سروره وفرحه بهذه الزيارة التي أتاحها الله سبحانه وتعالى ، لهذه الجامعة الإسلامية التي تقوم بحاجات المسلمين العلمية والدينية في المنطقة الشمالية لولاية أترابراديش .

وأكد على الطلاب بهذه المناسبة أن يستفيدوا مما تهيئ لهم هذه المؤسسة التعليمية الشهيرة ، ويعرفوا مكانتهم ودرجتهم الرفيعة عند الله ، فإن منزلتهم أعلى وأرفع من أولئك الطلاب الذين يدرسون في الجامعات الرسمية أو جامعات أمريكا وبريطانيا ، وجامعة كيليفورنيا ، وينهضوا لإحباط المؤامرات التي تحاك خيوطها بغاية من الدقة والبراعة من القوى الغربية الهدامة ، للقضاء على الصحوة الإسلامية ، ولإخراج الإسلام عن ميادين الحياة وشئونها .

وهذه هي فريضتهم الدينية ، و وظيفتهم الأساسية ، فعليهم أن يضحوا بنفوسهم ونفائسهم لتحقيق هذا الغرض ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ﴾ .

هذه هي نقطة هامة غابت عن أذهان المسلمين اليوم ، فوقعوا فريسة المؤامرات والدسائس ، ومنوا بشتى المشاكل والمصاعب .

وانتهى الحفل بكلمة شكر من مدير الجامعة ، وكانت مناسبة سارة

-والحمد لله-

الرابطة الإسلامية تدين قرار المحكمة العليا الإسرائيلية بالسماح لليهود بزيارة المسجد الأقصى

استنكرت الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي قرار المحكمة العليا الإسرائيلية الذي سمح لما يسمى بجماعة : « أمناء جبل الهيكل » الصهيونية المتطرفة بالدخول إلى حرم المسجد الأقصى الشريف وهي سابقة خطيرة جدًا يهدف فيها الصهاينة إلى الوصول إلى تقسيم المسجد الأقصى كما فعلوا بالمسجد الإبراهيمي في الخليل مما ترتب على هذا العمل المشين مصادمات عنيفة بين اليهود المتطرفين والفلسطينيين الذين منعوا هؤلآء الجماعة المتطرفة من دخول المسجد الأقصى المبارك أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ، ومسرى رسول الله -ﷺ- ومعراجه إلى السماوات العلى .

وقال المتحدث الرسمي باسم الرابطة : إن قرار المحكمة باطل لأنها تمثل سلطة محتلة وقرارها خرق واضح لاتفاقيات جنيف الرابعة لعام ١٩٤٩م التي تقضى ضمن أمور أخرى بعدم جواز أي تغييرات في الأرض المحتلة أو المساس بالمواطنين تحت الاحتلال ، وأكد المتحدث الرسمي للرابطة أن القدس وجميع المقدسات فيها أرض عربية محتلة ، كما نصت على ذلك جميع القرارات الدولية ودعا المتحدث الرسمي للرابطة الدول الإسلامية إلى تحمل مسئولياتها تجاه حماية المسجد الأقصى المبارك وجميع المقدسات الإسلامية و وضع حد لانتهاكات سلطات الاحتلال لحرمانها وإيقاف إجراءات تهويد مدينة القدس المحتلة .

وفي ختام تصريحه أكد المتحدث الرسمي على خطورة الوضع الحاصل في القدس الشريف وساحات المسجد الأقصى مطالبًا المجتمع الإسلامي والدولي والدول المحبة للسلام باتخاذ مواقف واضحة وحاسمة ، والعمل بجدية على وقف قرار المحكمة العليا الإسرائيلية التي تمس كرامة المسلمين في أرجاء المعمورة .

كتب حديثة :

الإمام عبد الحي اللكنوي
علامة الهند و امام المحدثين والفقهاء

قلم التحرير

أهدى إلينا الأخ الفاضل الدكتور وليّ الدين الندوي هذا الكتاب القيم الذي هو جزء من الرسالة التي أعدها المؤلف بإشراف الدكتور مصطفى الصاوي الجويني بالجامعة الاسكندرية في مصر ، لنيل شهادة الدكتوراة .

تحدث المؤلف الفاضل في هذا الكتاب الذي أصدرته دار القلم بدمشق ، عن حياة الإمام عبد الحي اللكنوي العلمية ، ذلك الرجل العبقري الذي عُرف في بلاد الهند وخارجها بغزارة مادته وتبحره في العلوم الشرعية ، ونظره الشمولي في المذاهب الفقهية ، وبتعمقه في أسرار وحقائق الشريعة الإسلامية من خلال الكتاب والسنة ، فقد وفقه الله تعالى رغم قصر عمره إلى اهتمام كبير بتأليف مؤلفات قيمة حول السنة والفقه وأصولهما والعقائد والفرائض والتاريخ والتراجم ، والمنطق والحكمة ، والمناظرة ، وعلوم العربية ، ولم يكتف بالتأليف والتدوين بل وقد ناقش معاصريه وأقرانه من العلماء في المسائل العلمية والدينية ، وبرز بذلك امامًا كبيرًا في العلوم الدينية والشرعية ، وعبقريًا سجل التاريخ العلمي لهذه البلاد مآثره ومواهبه النادرة بمداد من نور ، وقد استفادت منها الأوساط العلمية والدينية وأقبل كبار العلماء المعاصرين على تحقيق بعض مؤلفاته القيمة ونشر مواده العلمية .

ولقد كان المؤلف الفاضل موفقًا كل التوفيق في إخراج هذا الكتاب الذي يحكى عن حياة هذا الإمام بجوانبها المشرقة ، إنه تحدث فيه عن عصره وعن الأحوال التي توافرت فيه اجتماعيًا وسياسيًا ، وعلميًا ، ففي الفصل الأول قام بتعريف شخصيته ، والأسرة التي ولد فيها وامتيازاتها التي كانت تتميز بها ، أما في الفصل الثاني فتحدث عن شيوخه وتلاميذه ، وفي الفصل الثالث تناول ثقافته الواسعة ومؤلفاته الجليلة ، ثم أقبل في الأخير على الحديث عن أقرانه والعلماء الذين دارت بينه وبينهم مناقشات علمية ودينية ، وفي مقدمتهم العلامة الأمير صديق حسن خان صاحب المؤلفات القيمة في العلوم الإسلامية ، الذي ليس غريبًا على الأوساط العلمية والدينية في العالم .

وهكذا جاء هذا الكتاب وافيًا للغرض وحاويًا الجوانب المهمة التي يحتاج إلى معرفتها الباحثون والمؤلفون ، وما دام هذا الكتاب جزءًا من الرسالة التي أعدها المؤلف الفاضل لنيل شهادة الدكتوراة ، فإن رسالته ستكون أشمل كتاب لحياة الامام اللكنوي ، وأجدر بأن تكون زيادة قيمة في المكتبة الإسلامية وفي تراجم العلماء والأئمة والمحدثين والفقهاء الكبار في تاريخ الإسلام .

وقد شهدت جماعة من العلماء المحققين في عصرنا هذا بشرف مكانة الإمام اللكنوي في العلوم الإسلامية ونظره الفاحص في الحديث وأصوله ، واطلاعه الواسع في الفقه وأصوله ، وفي المباحث العلمية الدقيقة ، ولذلك فقد أكرمه الله تعالى بتخليد مآثره الدينية والعلمية ، ورزقها من القبول ما يماثل أعمال المتقدمين من أعلام العلماء والمحدثين .

والله ولي التوفيق ...